الأساليب البلاغية ودلالتها في التعبير القرآني

" سورة طه من الآية ١١١ حتى الآية ١٣٥ أنموذجاً "

إعداد

د / أحمد عبد الحميد محمد أحمد

الأستاذ المساعد رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن بالكلية

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى إظهار الصورة الجمالية لألفاظ القرن الكريم وأساليبه اللغوية والبلاغية وأثرها في معنى الآيات الكريمة .

وقد انتهيت في هذا البحث إلى بعض الأمور ، من أهمها :

١ــ بيان وجوه إعجاز القرآن الكثيرة والمتعددة ، وأهمها : بلاغته وفصاحته التي أعجــزت العرب وغيرهم منذ نزول القرآن حتى يومنا هذا عن بلوغ مرتبته العليا من الفصاحة المعجزة والبلاغة الباهرة .

٢ــ إظهار فصاحة القرآن وبلاغته التي تتجلي في جميع آياته ، بل في حروفه وكلماته ، وأنَّ فصاحته تلك لم تتغير من سورة لأخرى أو آية وما يليها ، بل الكل على نسق واحــد مــن الجزالة والبلاغة والفصاحة الباهرة المعجزة ، وذلك مما يثبت أن القرآن من عند الله " ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً " فكل آياته على اختلاف موضوعها تجري على درجة واحدة من بلاغة النظم الكريم ، وجودة السبك ، وهذا ما لم يصل إليــه بلغــاء العرب وفصحاؤهم ، فلكل واحد منهم مجاله الذي نبغ فيه دون سواه .

٣ــ بيان اهتمام العلماء قديماً وحديثاً بالقرآن الكريم وما يتعلق به من الأمور التي تثبت أنه ما من أمة اهتمت بكتاب ربها – ﷻ– كما اهتم المسلمون بتلك المعجزة الخالدة ، ولا أدل على ذلك من كل تلك المؤلفات التي ازدانت بها المكتبة الإسلامية خدمة لكتاب الله ﷻ .

٤ــ إظهار بلاغة القرآن التي قد زادت على ما عهده العرب من وجوه البلاغة في شعرهم ونثرهم وخطبهم ، على الرغم من نزول القرآن بلغتهم وبأسلوبهم ، لكن فرق بين الثــرى والثريا ، فالعرب على عادتهم ربما يستخرجون من البيت نكتة بلاغية لا أكثر ، أما آيــات القرآن العظيم فزاخرة بوجوه البلاغة التي لا يحصيها بليغ أو يعدُّها فصيح .

Summary Of The Research.

The rhetorical styles and their significance in the Quranic expression

Surah Taha (111-135)

This research aims to show the rhetorical image of the Koran and its impact on the meaning.

I have addressed in this research some things, including:

1 - Statement of the existence of many Quranic miracles and multiple, and most important: his rhetoric and his success that has failed Arabs and others since the descent of the Koran until today.

The revelation of the Qur'an, which appears in all its signs, words and letters. And that did not change from Surat to another. Prove the Koran

Clarifying the interest of scientists in the past and recently in the Quran. As we see those works that decorated the Islamic library.

The message of the Koran, which increased what the Arabs used in their poems and prose.

Dr. Ahmed Abdel Hamid Mohamed Ahmed.

Assistant Professor, Department of Interpretation and Quran Sciences.

المقدمة

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونتعينه ونستهديه ونستغفره ، ونتوب إليه ونستهديه ، ونعوذ بالله – ﷻ– من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً – ﷺ– عبده ورسوله .

وبعد

فإنَّ القرآن العظيم جلَّت بلاغتُه أن يُحاط بها ، وعظُمتْ آياتُه أن يؤتى بمثلها فلله الحمد على ما هدانا لمعرفته من وجوه بلاغتها،ونسأله – ﷻ– أن يعلمنا ما لم نعلمه منها .

وإنَّ بلاغة القرآن العظيم من أعظم المباحث التي أولاها العلماء رعايتهم واهتمامهم منذ نزول القرآن حتى عهدنا هذا ، وكيف لا يفعلون وقد أخبرنا الله –ﷻ – أنَّ هذا القرآن معجزة النبوة الخالدة وآيته الباهرة التي لا قِبَل لأحدٍ بالإتيان بمثلها " قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا "[1] .

وقد توافر للمعاندين من حميِّة الجاهلية ما يجعلهم مضطرين لقبول هذا التحدي ومحاولة النزال لكنهم عجزوا لا لشيء إلا لكونه فوق فصاحتهم التي توارثوها كابراً عن كابر ، وتفاخروا بها جيلاً بعد جيل .

هذا مع ما لاقوه من مهانة التحدي مرة بعد مرة ، كما قال شيخنا الدكتور عبد الله دراز – رحمه الله – : أنه بعد أن ظهر عجزهم عن الإتيان بشيء يشبه بلاغة القرآن وفصاحته " رماهم والعالم كله بالعجز من غير مواربة فقال ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[2] .

---

(١) الإسراء ٨٨

(٢) الإسراء ٨٨

فلعمري لو كان فيهم لسان يتحرك لما صمتوا عن منافسته وهم الأعداء الألـــداء ، وأباة الضيم الأعزاء ، وقد أصاب منهم موضع عزهم وفخارهم ، ولكنهم لم يجـــدوا ثغـــرة ينفذون منها إلى معارضته ، ولا سُلَّمًا يصعدون به إلى مزاحمته ، بل وجدوا أنفسهم منه أمام طود شامخ ، فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبًا ، حتى إذا استيأسوا من قدرهم واستيقنوا عجزهم ما كان جوابهم إلا أن ركبوا متن الحتوف ، واستنطقوا الســـيوف بـــدل الحروف ، وتلك هي الحيلة التي يلجأ إليها كل مغلوب في الحجة والبرهان ، وكل مـــن لا يستطيع دفعًا عن نفسه بالقلم واللسان [1] أ.هـــ

وقد كان التجاؤهم للحرب والقتال مع تركهم لما دُعوا إليه من الإتيان بمثله أو بشيء مـــن مثله دليلاً على منتهى العجز والذل والهوان .

يقول الإمام الباقلاني – رحمه الله – : قد عُلِم منهم أنهم ناصبوه الحرب ، وجاهدوه ونابذوه ، وقطعوا الأرحام ، وأخطروا بأنفسهم ، وطالبوه بالآيات والإتيان بغير ذلك مـــن المعجزات ، يريدون تعجيزه ليظهروا عليه بوجه من الوجوه .

فكيف يجوز أن يقدروا على معارضته القريبة السهلة عليهم – وذلك يدحض حجته ، ويفسد دلالته ، ويبطل أمره – فيعدلون عن ذلك إلى سائر ما صاروا إليه من الأمور الـــتي ليس عليها مزيد في المنابذة والمعاداة ، ويتركون الأمر الخفيف ؟[2] أ.هـــ

ومنهم من حملته الأنفة الكاذبة على الادعاء – زوراً وبهتاناً – بقبول التحدي فأتى بما لا يأتي به البلهاء السفهاء ، فزاد من مهانة نفسه مهانة فوق المهانة ، وأظهر من بلاهة عقله بلاهة ما بعدها بلاهة .

يقول الطبري – رحمه الله – " فأقرّ جميعُهم بالعجز ، وأذعنوا له بالتصديق ، وشهدوا على أنفسهم بالنقص ، إلا من تجاهل منهم وتعامى ، واستكبر وتعاشى[3] ، فحاول تكلُّف ما

---

(١) النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ص ٨٥ ط دار القلم – الكويت

(٢) ينظر : إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني ص ٢٠ ط مكتبة مصر .

(٣) أي أتي بشيء هزيل ، مأخوذ من قولهم : رجل عَشٌّ أي مهزول . ينظر : لسان العرب لابـــن منظـــور مادة " عشش" جـــ ٦ ص ٣١٨ ط دار صادر – بيروت .

قد علم أنه عنه عاجز ، ورام ما قد تيقن أنه عليه غير قادر ، فأبدى من ضعف عقله ما كان مستوراً ، ومن عِيّ لسانه ما كان مصُونًا ، فأتى بما لا يعجزُ عنه الضعيف الأخرق ، والجاهل الأحمق ، فقال : " والطاحنات طحنًا ، والعاجنات عجنًا ، فالخابزات خبزًا ، والثاردات ثَرْدًا واللاقمات لَقْمًا" ونحو ذلك من الحماقات المشبهةِ دعواه الكاذبة[1] أ.هـ

وقد حاولت في هذا البحث – على قدر استطاعتي – أن أستخرج من آيات القرآن العظيم – محل البحث – ما أكرمني الله بالاهتداء إليه من هذه الأساليب البلاغية مع بيان دلالة استعمالها في هذا الموضع .

والله أسألُ أن يوفقني فيما نويته وأن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع .

(١) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري جـ ١ ص ١٨ ط دار الفكر – بيروت

خطة البحث

وقد اقتضت ظروف هذا البحث أن يأتي في مقدمة وأحد وعشرين مبحثاً وخاتمة .

أما التمهيد : فذكرت فيها لمحة عن إعجاز القرآن وأقوال العلماء فيه ، ثم تطرقتُ إلى الحديث عن معنى الفصاحة البلاغة وبعض ما يتعلق بهما .

أما المباحث : فذكرت فيها أحد وعشرين مبحثاً ، ذكرت في كل مبحث منها – كما سيأتي – وجوه البلاغة في كل آية ، وقد سرتُ في تقسيمه حسب الآيات تبركاً بنظم القرآن الكريم ، وبما يخدم الأساليب البلاغية التي تُبني على ملاحظة سياق الآيات من سابقٍ ولاحق .

وقد حاولت إبراز هذه الأساليب البلاغية في الآيات القرآنية – محل البحث مسترشداً بجهود السادة العلماء في التفسير والبلاغة من قدماء ومُحْدَثين ، والذين أبرزوا من خلال جهودهم المشكورة صوراً بلاغية عدَّةً ، بما يظهر إعجاز القرآن وبلاغته ، كما ذكرت بعد بيان كل موضع بلاغي في الآية سرَّ استعمال هذا الأسلوب بما يوضح بلاغة القرآن العظيم

أما الخاتمة : فقد ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

طريقة البحث :

وقد جاءت طريقتي في البحث– بإذن الله – ﷻ– كالتالي :

١ــ أذكر الآية تحت عنوان " الأساليب البلاغية في قول الله – ﷻ– كذا " .

٢ــ أذكر الأساليب البلاغية التي يمنُّ الله – ﷻ– عليَّ بمعرفتها في الآية الكريمة ، ووجه بلاغة هذا الأسلوب فيها

٣ــ أقوم بشرح كل لفظ من يحتاج إلى شرح وذلك من معاجم اللغة ، ودواوين الشِعْر .

٤ــ أقوم بنسبة الآيات إلى سُوَرها ، والأحاديث إلى ما رُوِيَتْ فيه من كتب السُّنَّة مُخَرِّجاً إياها على الكتب والأبواب ، كما أقوم بنسبة الأشعار إلى قائليها ، والتخريج من كتب اللغة على مادة الكلمة .

والله – ﷻ – أسألُ أن أكون قد وُفقتُ أو قاربتُ التوفيق فيما شرعتُ فيه ، فإن أكن قد هُديتُ للصواب فتلك مِنَّة من الله –ﷻ – وفضلٌ منه ، وإن تكن الأخرى فحسبي أني قصدتُ الخيرَ وحاولتُ على قدر جهدي ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

التمهيد

وجوه إعجاز القرآن

يقول الإمام البقاعي – رحمه الله – " وقد اختلف الناس في سبب الإعجاز وأحسن ما وقفت عليه من ذلك ما نقله الإمام بدر الدين الزركشي الشافعي في كتابه البرهان عن الإمام أبي سليمان الخطابي – وقال : وإليه ذهب الأكثرون من علماء النظر – أن وجه الإعجاز فيه من جهة البلاغة لكن صعب عليهم تفصيلها ووضعوا فيه إلى حكم الذوق ، قال : والتحقيق أن أجناس الكلام مختلفة ومراتبها في درجات البيان متفاوتة ، فمنها البليغ الرصين الجزل ، ومنها الفصيح القريب السهل ، ومنها الجائز الطلق الرسل ، وهذه الأقسام هي الكلام الفاضل المحمود ، فالقسم الأول أعلاه ، والقسم الثاني أوسطه والقسم الثالث أدناه وأقربه ، فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة وأخذت من كل نوع شعبة "[1] أ.هـ

وقال ابن عادل – رحمه الله – " اختلفوا في الوجه الذي كان القرآن لأجله معجزاً ، فقيل : هو الفصاحةُ وقيل : الأسلوب ، وقيل : عدم التناقض ، وقيل : اشتمالهُ على الإخبار عن الغيوبِ ، والمختار عند الأكثرين أن القرآن معجز من جهة الفصاحة "[2] .

وبالتدبر في القرآن العظيم نجد أن كل هذه الوجوه متوفرة فيه ، وشاهدة على إعجازه وكل نوع منها جاء في موضعٍ أثبت إعجازه ، فتارة يعجزهم بخبر غيبي وتارة يعجزهم بأسلوبٍ بلاغي ، وفي كل القرآن يعجزهم بعدم تناقضه لا في الأسلوب ولا في درجة البلاغة الواحدة من أوله لآخره .

---

(١) ينظر : نظم الدرر جـ ٢ ص ١٧٧ ، ١٧٨ ط دار الكتاب الإسلامي – القاهرة ، البرهان في علوم القرآن للزركشي جـ ٢ ص ١٠١ ط مكتبة التراث – القاهرة .

(٢) ينظر : تفسير اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي جـ ١٠ ص ٤٤٩ ط دار الكتب العلمية – بيروت .

معنى الفصاحة والبلاغة

أولاً : معنى الفصاحة :

تدور كلمة الفصاحة في اللغة حول البيان والظهور والسلامة من كل ما يشوب الشيء ، يقول ابن منظور – رحمه الله – :

الفَصاحةُ : البَيان ، فَصُحَ الرجلُ فَصاحة فهو فَصِيح من قوم فُصَحاء وفِصاحٍ وفُصُحٍ ورجل فَصِيح وكلام فَصِيح أَي بَلِيغ ، ولسانه فَصِيح أَي طَلْقٌ وأَفْصَحَ الرجلُ القولَ وفَصُح الأَعجميُّ بالضم فَصاحة تكلم بالعربية وفُهِمَ عنه وقيل جادت لغته حتى لا يَلْحَنُ وأَفْصَح كلامه إِفْصاحاً وأَفْصَح تكلم بالفَصاحةِ ، ولقد فَصُحَ فَصاحة وهو البَيِّنُ في اللسان والبَلاغة والتَّفَصُّحُ استعمال الفصاحة وقيل التَّشَبُّه بالفُصَحاء[1] .

الفصاحة في اصطلاح علماء البلاغة :

ذكر علماء البلاغة أنَّ الفصاحة تأتي وصفاً للكلمة الواحدة ، ووصْفاً للكلام ، ووصْفاً للمتكلّم ، فيقال : كلمةٌ فصيحة ، وكلامٌ فصيحٌ ، ومتكلّم فصيح .

أولاً : فصاحة الكلمة :

أمّا الكلمة الفصيحة : فهي الكلمة العربية التي تَخْلُو من أربعة عيوب وهي : التنافر ، والغرابة ومُخَالفة القياس ، وكراهة السَّمع لها .

أوّلاً : شرح العيب الأوّل : وهو تنافر حروف الكلمة :

التنافر في الكلمة صفةٌ فيها تجعلها ثقيلة على اللِّسان ، يصعُبُ النُّطْقُ بها.

وهذا التنافُرُ مِنْهُ ما هُو شديدٌ غايةٌ في الثّقل ، ومنْهُ مَا هُو دون ذلِكَ ، ويُحِسُّ به الذّوق السَّليم ، ومن علامات التنافر في حروف الكلمة أنْ يصعُب على معظم ألسنة الناطقين بالعربيّة النُّطقُ بها .

ومن أمثلة ما هو شديد التنافر:

---

(١) ينظر : لسان العرب مادة " فصح " جـ ٢ص ٥٤٤ ط دار صادر – بيروت .

وكلمة "مُسْتَشْزِرَاتَ" بمعنى منفتلات ، وقد جاءت في شِعْر امرئ القيس ، قال :

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْعُلاَ تَضِلُّ الْمَدَارِي فِي مُثَنًّى وَمُرْسَلِ[1]

ثانياً : شرح العيب الثاني : الغرابة :

الغرابة في الكلمة كونُها غير ظاهرة المعنى ولا مألوفةِ الاستعمال عند فُصحاء العرب وبلغائهم، في شعرهم ونثرهم ، لا عند المولّدين ومَن بعدهم ، فأكثر الكلام العربي الفصيح غريب عند غير فصحاء العرب وبلغائهم .

والغرابة إمّا تكون بسبب نُدْرة استعمال الكلمة عند العرب ، وإمّا أن تكون بسبب أنّ التوصّل إلى المراد منها في الكلام يحتاج إلى تخريج مُتكَلَّف بعيد .

ومثّلُوا للغريب النادر، مثل كلمة "مُسْحَنْفِرَة" بمعنى "متّسعَة " .

ثالثاً : شرح العيب الثالث : مخالفة الكلمة للقياس:

أي : سوقُ الكلمة مخالفةً للقياسِ النحويّ أو الصّرفيّ ، ومن أمثلة ما هو مخالف للقياسِ من الكلمة فكُّ الحرف المضعّف في الكلمة التي يقتضي القياسُ فيها إْدغامَهُما بحرفٍ مُشَدَّدٍ، نحو كلمة "الأجْلَلِ" والقياسُ أَنْ يُقَالَ فيها الأجَلّ .

رابعاً : شرح العيب الرابع : كون الكلمة مكروهةً في السمع :

أي: كونُها مجوجةً في الأسماع ، تأنف منها الطّباع ، خشنَةً وَحْشِيَّةً .

ومثّلوا لهذا العيب بنفور السمع عن كلمة " الْجِرِشَّى" بمَعْنَى "النفس" فعابوا على أبي الطيّبِ المتنبّي استعمالَها في قَوْلِهِ يمدحُ سيف الدولة :

مُبَارَكُ الاسْمِ أغَرُّ اللَّقَبْ كَرِيمُ الْجِرِشَّى شَرِيفُ النَّسَبْ[2]

كَرِيمُ الجِرِشَّى: أي: كريمُ النفس .

---

(١) ديوان امرئ القيس من قصيدة مطلعها : قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل ، ص ٣٩ ط دار الجيل – بيروت .

(٢) ينظر : ديوان المتنبي ص ٤٣٨ ط دار بيروت للطباعة والنشر ، من قصيدة يمدح بها سيف الدولة .

ثانياً : فصاحة الكلام .

وأمَّا الكلامُ الفصيح : فهو عند علماء البلاغة ما كان سهْلَ اللفظ ، واضح المعنى ، جيّد السَّبكِ ، متلائم الكلمات ، فصيح المفردات ، غير مُسْتكْرَهٍ ولا مَمْجوجٍ ولا مُتكَلَّف ، ولا مخالفٍ لقواعد العرب في نحوها وصرفها ، وغير خارج عن الوضْعِ العربي في مفرداته وتراكِيبه وليس في كلماته تنافر ، وليس فيه تعقيدٌ لفظيٌّ ، ولا تعقيدٌ معنويّ .

قالوا : ولا بُدَّ لكون الكلام فصيحاً من أن يكون خالياً مِنْ أربعة عيوب ، مع شرط فصاحة مفرداته ، وهي :

العيبُ الأول : تنافر الكلمات عند اجتماعها ، ولو كانت مفرداتها فصيحة :

وهو : وصفٌ يعرض للكلام من جرّاء اجتماع كلماتٍ فيه تجعل النُّطْقَ بها ثقيلاً ممجوجاً حال اجتماعها، مع كون كلّ كلمةٍ ليّنةً سهلة النطق بها.

ويُحِسُّ بهذا الثّقَل الممجوج أصحابُ الذوق السليم في نُطْق الكلام العربي ، ومن علامات التنافر في الكلام أن يَصْعُب على معظم ألسنة الناطقين العربية النُّطقُ به ، مثل :

وَقَبْرُ حَرْبٍ بِمَكَانٍ قَفْرُ * وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

العيبُ الثاني : ضعف التأليف :

وهو أنْ يكون تأليف الكلمات في الجمل أو إجراؤُها الإعْرَابي على خلاف المشهور المتّبَع من قواعد النحو ، أو فيه لَحْنٌ نحويٌّ أو صرفي ، واللّحْنُ في اللّغة ليْسَ من فصيحها بل هو من عامّيها ، أو من نطق الدخلاء على أهلها ممن ليسوا منها ، أو من نطق أطفال الأمة الذين لم يتمرّسوا بقواعد لغتهم .

كاستعمال الضمير المنفصل مع إمكان استعمال الضمير المتّصل ومنه قول الفرزدق : بِالْبَاعِثِ الْوَارِثِ الأَمْواتِ قَدْ ضَمِنَتْ*إِيَّاهُمُ الأَرْضُ في دَهْرِ الدَّهَارِيرِ[1] .

فجاء بالضمير المنفصل " إيّاهُمْ " مع إمكان مجيء الضمير المتصل ، لضرورة الشعر وهذا من العيوب المخلّة بالفصاحة .

---

(١) ينظر : ديوان الفرزدق ص ١٩٠ ط دار الكتب العلمية – بيروت

العيبُ الثالث : التعقيد اللفظي :

ويكون بجعل الكلمات في جملة الكلام مرتَّبةً على غير الترتيب الذي يقتضيه نظام الكلام وتأليفُه في اللسان العربيّ كتقديم الصفة على الموصوف ، والصلة على الموصول ، وكالتشتيت في الروابط بين عناصر الجملة الواحدة ، أو بين عناصر الْجُمَل في الكلام الواحد .

وهذا العيب أشدّ نكارةً وبعداً عن فصيح الكلام من عيب " من أمثلة التعقيد اللّفظيّ قولُ الْفَرَزْدَق يمْدَحُ الوليد بن عبد الملك:

إِلَى مَلِكٍ مَا أُمُّهُ مِنْ مُحَارِبٍ أَبُوهُ وَلاَ كَانَتْ كُلَيْبٌ تُصَاهِرُهُ[1]

يريد : إلى مَلِكٍ أَبُوه ليستْ أُمُّه مِنْ مُحَارِبٍ ، فقدّم وأخَّرَ فأبْهَمَ المعنى وألْغزَ وأفْسَد .

العيبُ الرابع : التعقيد المعنويّ .

ويكون باستخدام لوازم فكرية بعيدة ، أو خفيّةِ العلاقة ، أو استخدام كنايات من الْعَسيرِ إدراكُ المراد منه ، لعدم اقترانها بما يشير إلى دَلالاتها المرادة ، فَيَنْجُم عَنْهُ خفاءُ دلالة الكلام ، وصعوبَةُ التوصُّلِ إلى معرفةِ المراد منه من قِبَلِ أهل الفكر والاستنباط ، أو منْ قبَل المخاطبين به إذا كان المخاطبون به دون مستَوى أهْلِ الفكر والاستنباط ، ومنه قول العبَاسِ بن الأحنف :

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدُّمُوعَ لِتَجْمُدا[2]

أي : سأطْلُبُ بُعْدَ الدّار عنكم وأتحمَّلُ آلاَمَ الفراق وأصْبِرُ عليه ، لأنّ عاقبة الأَلم والصبر الفرجُ ، وحين يأتي الفرجُ يكون قُرْبٌ دائم ، ووصلٌ مستمرٌ مصحوبٌ بسرور لا ينقطع ، وقد أبعد في هذِه الكناية لكثرة لوازمها الذهنيّة التي لا تُدْرَكُ إلاَّ بإجْهادٍ ذهْنِيّ .

---

(١) ينظر : ديوان الفرزدق من قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك ص ٢٢٢

(٢) ينظر : ديوان العباس بن الأحنف ص ١٠٦ ط دار الكتب المصرية

ثالثاً : فصاحة المتكلم .

فصاحة المُتكلِّم : عبارةٌ عن المَلكة التي يقتدر بها صاحبها على التعبير عن المقصود بكلام فصيح في أيِّ غرضٍ كان .

فيكون قادراً بصفة الفصاحة الثابتة في نفسه على صياغة الكلام مُتمكّناً من التّصرف في ضُروبه بصيراً بالخوض في جهاته ومَنَاحِيه[1].

---

(١) ينظر : جواهر البلاغة لأحمد الهاشمي ص ١٧ وما بعدها ط مؤسسة المختار للطبع والنشر ، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها للقزويني جـ ١ ص ١١ وما بعدها ط دار القلم – دمشق

ثانياً : معنى البلاغة

البلاغة في اللّغة :

البلاغة عند أهل اللّغة هي حُسْنُ الكلام مع فصاحته وأدائه لغاية المعنى المراد.

يقال : بَلغَ الشيءُ يَبْلُغُ بُلُوغاً وبَلاغاً وصَلَ وانْتَهَى ، وأَبْلَغَه هو إِبْلاغاً وبَلَّغَه تَبْلِيغاً ، وتَبَلَّغَ بالشيء وصَلَ إِلى مُرادِه وبَلَغَ مَبْلَغَ فلان ومَبْلَغَتَه [1] .

فالبلاغة في اللغة تدور على معاني البلوغ والوصول إلى المقصد ، وبلاغة الكلام وصوله قلب السامع وتمكنه من أشد التمكن ، ووصول صاحبه إلى منتهى غرضه مما يريده ويقصده بكلامه ، والبلاغَةُ تكون وصفاً للكلام ، ووصفاً للمتكلّم .

البلاغة في الاصطلاح :

هي : مطابقة الكلام لمقتضى حَال من يُخَاطبُ به مع فصاحة مفرداته وجُمَله.

فيشترط في الكلام البليغ شرطان :

الشرط الأول : أن يكون فصيح المفردات والجمل .

الشرط الثاني : أن يكون مطابقاً لمقتضى حال من يُخَاطبُ به .

ولّما كانت أحوال المخاطبين مختلفة ، وكانت كلُّ حالةٍ منها تحتاج طريقةً من الكلام تلائمها ، كانت البلاغة في الكلام تستدعي انتقاء الطّريقة الأكثر ملاءمة لحالة المخاطب به لبلُوغ الكلام من نفسه مبلغ التأثير الأمْثل المرجو [2] .

الفرق بين البلاغة والفصاحة :

جعل الإمام عبد القاهر الجرجاني البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة بمعنى واحد فقال : تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة، وكل ما شاكل ذلك مما يعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد،وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم[3].

---

(١) لسان العرب مادة " بلغ " جـ ص ٤١٩ ط دار صادر – بيروت

(٢) ينظر : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها للقزويني جـ ١ ص ١٢٩

(٣) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ص ٤٣ ط مكتبة الخانجي – القاهرة .

وفرَّق ابن سنان الخفاجي بين البلاغة والفصاحة ، فجعل الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ ، والبلاغة وصفاً للألفاظ مع المعاني فقال : والفرق بين الفصاحة والبلاغة : أن الفصاحة مقصورة على وصف الألفاظ ، والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعاني ، لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة، وإن قيل فيها إنها فصيحة. وكل كلام بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغاً، كالذي يقع فيه الإسهاب في غير موضعه[1] أ.هـ

وجعل القزويني – رحمه الله – الفصاحة صفة للكلمة المفردة والكلام والمتكلم فيقال : كلمة فصيحة وكلام فصيح ومتكلم فصيح ، وقصر صفة البلاغة على الكلام والمتكلم دون الكلمة ، فيقال : كلام بليغ ومتكلم بليغ ، ولا يقال كلمة بليغة[2] .

والذي استقرت عليه بحوث البلاغة أن البلاغة كلٌ والفصاحة جزؤه ، وأن الفصاحة من صفات المفرد كما هي من صفات المركب[3] .

عناصر البلاغة في الاصطلاح :

ترجع البلاغة في أصولها العامة إلى تحقّق العناصر السّتَّةِ التالية وهي :

العنصر الأول : الالتزام بما ثبت في متن اللّغة وقواعد النحو والصرف ، واختيار الفصيح من المفردات والْجُمَل والقواعدِ .

العنصر الثاني : الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد .

العنصر الثالث : الاحتراز عن التعقيد في أداء المعاني المرادة ، سواء من جهة اللّفظ أو من جهة المعنى .

---

(١) سر الفصاحة ص ٥٩ ط دار الكتب العلمية – بيروت

(٢) الإيضاح للقزويني ١١ دار الكتب العلمية – بيروت

(٣) ينظر : المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم للدكتور / عبد الفتاح لاشين ص ٤٨ ط دار الفكر العربي .

العنصر الرابع : انتقاء الكلمات والعبارات الجميلة ، الّتي يُدْرِكُ جمالَها الحسُّ المرهـــف ، والذّوْقُ الرفيع لدى البلغاء .

العنصر الخامس : تصيُّد المعاني الجميلة ، وتقديمها في قوالب لفظيّةٍ ذاتِ جمالٍ.

العنصر السادس : تزيين الكلام بالمحسِّنَات التي تَسْتَثِيرُ إعجاب المخاطَبين ، والمحسّنَاتُ التي تُزَيّنُ الكلامَ وتَزيدُه جمالاً لا تُحْصَرُ ، وباستطاعة الموهوبين أن يبتكروا فيها دوامـــاً أشـــياء جديدةً لم يتوصَّلْ إليها البلغاء السّابقون من الناس[1] .

(١) ينظر : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها للقزويني جـــ ١ ص ١٣١

أقسام علم البلاغة

قسم علماءُ البلاغة هذا العلم إلى ثلاثة أقسام : معاني – بيان – بديع ، وهذا شرح موجز لكل علم وما يختص به :

علم المعاني :

هو علْمٌ يعرف به أحوال الكلام العربيّ التي تهدي العالِمَ بها إلى اختيار ما يُطَابقُ منها مقتضى أحوال المخاطبين ، رجاء أن يكون ما يُنْشِىءُ من كلامٍ أدبيٍّ بَلِيغاً .

ويدور هذا العلم حول تحليل الجملة المفيدة إلى عناصرها ، والبحث في أحوال كلّ عنصر منها في اللّسان العربيّ ، ومواقع ذكره وحذفه ، وتقديمه وتأخيره ، ومواقع التعريف والتنكير، والإطلاق والتَّقْيِيد ، والتأكيد وعدمه ، ومواقع الْقَصرِ وعَدَمه ، وحَوْلَ اقتران الجمل المفيدة ببعضها ، بعطف أو بغير عطف ، ومواقع كلٍّ منهما ومقتضياته ، وحول كون الجملة مساوية في ألفاظها لمعناها ، أو أقلَّ منه ، أو زائداً عليه ، ونحو ذلك[1] .

وهو علم يختص ببيان الخبر والإنشاء والتقديم والتأخير والحذف والذكر والتعريف والتنكير والتقييد والقصر والفصل والوصل وغير ذلك .

وفائدتُهُ : معرفةُ إعجازِ القرآن الكريمِ ، من جهةِ ما خصَّهُ الله به من جودةِ السبَّكِ ، وحُسن الوصفِ ، وبَراعةِ التَّراكيبِ ، ولُطفِ الإيجاز ، وما اشتملَ عليه من سُهولةِ التركيب ، وجزالةِ كلماتِهِ ، وعُذوبةِ ألفاظِهِ وسلامتِها ، إلى غير ذلك من محاسنِهِ التي أقعدتِ العربَ عن مناهضتِه ، وحارتَ عقولُهُم أمامَ فصاحتِهِ وبلاغتِهِ .

علم البيان :

البيان لغة – الكشف ، والإيضاح ، والظهُّور .

واصطلاحاً : أصولٌ وقواعدُ ، يعرف بها إيرادُ المعنى الواحد بطرق يختلف بعضُها عن بعض في وُضوح الدّلالة العقلية على نفس ذلك المعنى ، فالمعنى الواحد يُستطاع أداؤه بأساليب مُختلفة في وضوح الدّلالة عليه[2] .

---

(١) ينظر : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها للقزويني جـ ١ ص ١٣٨

(٢) جواهر البلاغة ص ٢٠٥

ذكروا أنّ أوّل من دوّن مسائل علْم البيان أبو عبيدة "مَعْمَرُ بن المثنَّى" في كتابه: " مجاز القرآن". وتبعه "الجاحظ". ثم "ابْنُ المعتزّ". ثُمَّ "قُدَامَةُ بْنُ جعفر". ثُمَّ "أبو هِلاَل العسكري". ثم جاء الشيخ "عبد القاهر الجرجاني"، فاحكم أساسه، وأكمل في بنيانه[1] .

وهو يهتم بالمجاز والتشبيه والاستعارة والكناية .

علم البديع :

البديع : لغة – المخترع الموجد على غير مثال سابق، وهو مأخوذ ومشتقٌ من قولهم – بدع الشيء، وأبدعه، اخترعه لا على مثال .

واصطلاحا : هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة ، وتسكوه بهاءً ورونقاً ، بعد مطابقته لمقتضى الحال مع وضوح دلالته على المراد لفظا ومعنى[2] .

واضع علم البديع :

قالوا : إنّ أوّل من دوَّن في هذا الفنّ "عبد الله بن المعتزّ العباسي" المتوفى سنة (٢٧٤ هجرية) إذْ جمع ما اكتشفه في الشعر من المحسنات وكتب فيه كتاباً جعل عنوانه عبارة : "البديع"[3] .

وهو علم يختص ببيان المحسنات المعنوية كالتورية والطباق ومراعاة النظير والمقابلة والتأكيد والمحسنات اللفظية كالجناس .

---

(١) ينظر : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها للقزويني جـ٢ ص ١٢٥

(٢) جواهر البلاغة ص

(٣) ينظر : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها للقزويني جـ ٢ ص ٣٦٩

المبحث الأول

الأساليب البلاغية في قول الله – ﷻ –

﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾[1].

من الأساليب البلاغية في الآية الكريمة :

١ــ مناسبة الآية لما سبقها : ذكر الله –ﷻ – في الآيات السابقة بعضاً من مشاهد يوم القيامة تخويفاً للكافرين الذين جحدوا هذا اليوم وأنكروا ما أُخْبِرهم به من مشاهده فذكر الله –ﷻ – نسف الجبال وسَوْق الخلق جميعاً للحشر والحساب وذكر من هيئتهم في هذا اليوم خشوع أصواتهم وانقطاع الشفاعة بينهم فقال:﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۞ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۞ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۞ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۞ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ۞ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾[2] فجاءت هذه الآية الكريمة مكملة لوصف مشهدهم في هذا اليوم العظيم حتى تكتمل في أذهانهم تلك الصورة التي طالما أنكروا حدوثها واستبعدوا وقوعها فقال " وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا " .

يقول الإمام البقاعي – رحمه الله – " لما ذكر خشوع الأصوات أتبعه خضوع دونها فقال " وَعَنَتِ الْوُجُوهُ " أي ذلت وخضعت واستسلمت وجوه الخلائق كلهم ، وخصها لشرفها ولأنها أول ما يظهر فيه الذل " لِلْحَيِّ " الذي هو مطلع على الدقائق والجلائل ، وكل ما سواه جماد حيث ما نسبت حياته إلى حياته " الْقَيُّومِ " الذي لا يغفل عن التدبير ومجازاة كل نفس بما كسبت " وَقَدْ خَابَ " أي خسر خسارة ظاهرة " مَنْ حَمَلَ " منهم أو من غيرهم " ظُلْمًا "[3].

---

(١) طه ١١١

(٢) طه من الآية ١٠٥ حتى ١١٠

(٣) ينظر : نظم الدرر لإبراهيم بن عمر البقاعي جـ ١٢ ص ٣٤٩ ط دار الكتاب الإسلامي

فائدة : في أهمية إظهار وجه التناسب بين الآيات والسور :

من الأمور المهمة لكل متعرضٍ لتفسير آية أو بيان ما فيها من أساليب البلاغة القرآنية أن يهتم ببيان وجه مناسبة الآية لما سبقها وذلك حتى يتضح للقارئ الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم .

وهذا ما يعبر عنه العلماء بعلم السياق ، وقد عُرِّفَ السياق القرآني بأنه " ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية لها أثر في فهمه من سابقٍ أو لاحقٍ به ، أو حال المخاطِب والمخاطَب ، والغرض الذي سيق له والجو الذي نزل فيه " أ.هـ [1].

يقول الإمام الشاطبي – رحمه الله – " فالذي يكون على بالٍ من المستمع والمتفهم الالتفاتُ إلى أول الكلام وآخره بحسب القضية وما اقتضاه الحال فيها ، لا ينظر في أولها دون آخرها ، ولا في آخرها دون أولها ، فإن القضية وإن اشتملت على جملٍ فبعضها متعلقٌ بالبعض لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد ، فلا محيص للمتفهم عن ردِّ آخر الكلام على أوله ، وأوله على آخره ، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف ، فإن فرق النظر في أجزائه ، فلا يتوصل به إلى مراده ، فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض "[2] أ.هـ .

١ـ الاستعارة[3] : في قوله " وَعَنَتِ "

---

(١) السياق القرآني وأثره في التفسير لعبد الرحمن المطيري ص ٦٤ ط ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م المملكة العربية السعودية – جامعة أم القرى .

(٢) الموافقات للشاطبي جـ ٤ ص ٧١٦ ط دار الكتب العلمية – بيروت .

(٣) الاستعارة في اللغة من قولهم : استعار المال إذا طلبه عارية .

وفي اصطلاح البيانيين : هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي ، وقيل أيضاً " استعارة الكلمة لشيء لم يُعرف بها من شيءٍ قد عُرف بها .

وللاستعارة قيمة بلاغية : الاستعارة من أدقّ أساليب البيان تعبيراً وأرقها تأثيراً وأجملها تصويراً وأكملها تأدية للمعنى وهي ميدان واسع للتصوير والإبداع ، فهي قائمة على تناسي التشبيه وادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، لأنها في الأصل تشبيه بُولِغَ فيه بطيِّ المشبه وادعاء دخولهفي جنس المشبه به وصيرورته فرداً=

حيث استعير الفعل الماضي للتعبير به عن المستقبل ، فالكلام هنا عن يوم القيامة وما سيكون فيه من عذاب الكافرين جسدياً ومعنوياً .

وذلك كما في قوله تعالى " أَتَى أَمْرُ اللَّهِ "[1] فتقريرها أن يقال : شبه الإتيان في المستقبل ، بالإتيان في الماضي ، بجامع تحقق الوقوع في كلٍ ، واستعير الإتيان في الماضي للإتيان في المستقبل واشتق منه " أتى " بمعنى يأتي ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية[2] .

وعَنَت : من عَنا يَعْنُو إذا ذلَّ وخَضَع ، يقال عنوتُ لك خضعت لك وأطعتك ، والعَنْوَة : القهر ، وفتحت هذه البلدة عَنْوةً أي فتحت بالقتال ، عَنَوْتُ فيهم عُنوّا وعَنَاءً : صرت أَسيراً وعَنَوْت له : خضعت ، قال تعالى ﴿ وَعَنَتِ الوجوه لِلْحَيِّ القيوم ﴾ أي خضعتْ مستأسِرة بعَناء ، وأَعنيته : أَذللته [3] .

فالمعنى : ذلَّت وخضعت[4] .

بلاغة الاستعارة هنا :

الغرض من التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي بيان كمال تحقق وقوعه وتهويلُ أمره .

=

= من أفراده وذلك في الاستعارة التصريحية ، أو بطيِّ المشبه به والدلالة عليه بإثبات لازم من لوازمه للمشبه وذلك في الاستعارة المكنية ، وهذه أقسامها من حيث طرفي الاستعارة .

وتنقسم باعتبار اللفظ المستعار إلى قسمين : أصلية وتبعية ، فإذا كان المستعار اسماً جامداً غير مشتق فهي استعارة أصلية ، وإذا كان اللفظ مشتقاً أو فعلاً فهي تبعية . ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها علم البيان والبديع للدكتور فضل حسن عباس ص ١٥٨ ط دار النفائس ، من بلاغة النظم القرآني ص ٢٧١ ، علم البيان للدكتور عبد العزيز عتيق ص ١١٥ ، ط دار الآفاق العربية طبعة أولى ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٢ م ،

(١) النحل ١

(٢) ينظر : جواهر البلاغة السيد أحمد الهاشمي ص ٢٥١ ط مؤسسة المختار .

(٣) ينظر : لسان العرب مادة عنا جـ ١٥ ص ١٠١ ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ، بصيرة في " عنو وعوج " جـ ٤ ص ١٠٧ ط وزارة الأوقاف المصرية – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث العربي

(٤) ينظر : دَرْجُ الدرر في تفسير الآي والسور لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني جـ ٣ ص ٢٠٦ ط دار الحكمة بريطانيا

يقول السيوطي – رحمه الله – هذا النوع من إطلاق الماضي على المستقبل الغرض منه هنا إفادة كمال تحقق وقوعه[1] أ.هـ

ويقول الزركشي – رحمه الله – : التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي وعكسه يغلب فيما إذا كان مدلول الفعل من الأمور الهائلة المهدِّدة المتوَعد بها فيعدل فيه إلى لفظ الماضي تقريراً وتحقيقاً لوقوعه[2] انتهى بتصرف

وذلك مثل تعبير القرآن عن يوم القيامة بقوله ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3] فالتعبير بالماضي عن المستقبل في القرآن يكون الغرض منه إفادة تحقق الوقوع واستحضار الصورة ومعايشة الحدث .

ويقول الإمام الشنقيطي – رحمه الله – في تفسير قول الله –ﷻ – ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[4] " وعبر بصيغة الماضي تنزيلاً لتحقق الوقوع منزلة الوقوع ، والتعبير عن المستقبل بصيغة الماضي لتحقق وقوعه كثير في القرآن ، كقوله ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾[5] وقوله ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ ..... ﴾[6] ، وقوله ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[7] .

فكل هذه الأفعال الماضية بمعنى الاستقبال ، نزل تحقق وقوعها منزلة الوقوع[8] .

---

(١) انظر : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي النوع الثاني والخمسون : في حقيقته ومجازه جـ ٢ ص ٨٣ ط دار الكتب العلمية .

(٢) ينظر : البرهان للزركشي جـ ٣ ص ٣٧٣

(٣) النحل ١

(٤) النحل ١

(٥) الزمر ٦٨

(٦) الأعراف ٤٤

(٧) الزمر ٦٩

(٨) ينظر : أضواء البيان للشنقيطي جـ ٣ ص ١٨٩ ط دار عالم الفوائد للطبع والنشر .

ومثل هذا التعبير مما لم تعهده العرب في كلامها لا شعراً ولا نثراً لأن ذلك لا يصدر إلا عن مقتدرٍ وإلا كان اجتراءً وكذباً ، فهذا الأسلوب مما تفرد به القرآن لأنه صادر عمَّن يملك أن يفعل ويدبر شؤون الخلق ويصرفها[1] .

المجاز المرسل : في قوله " الْوُجُوهُ " حيث عبَّر بالجزء وأراد الكل .

يقول الرازي – رحمه الله – : وذكر الله تعالى " الْوُجُوهُ " وأراد به المكلفين أنفسهم لأن قوله " وَعَنَتِ " من صفات المكلفين لا من صفات الوجوه وهو كقوله ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ۝ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴾[2] وإنما خص الوجوه بالذكر لأن الخضوع بها يبين وفيها يظهر[3] أ.هـ

ومن حِكَم اختصاصها أيضاً : شرفها عن بقية الأعضاء كما ذُكِر ، فضلاً عن أنَّ آثار الذل أول ما تظهر فيها[4] .

ومن نوع هذا المجاز – كما ذكر الزركشي وأبو عبيدة – رحمهما الله – قول الله – ﷻ – ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾[5] يريد الأجساد لأن العمل والنَّصب من صفاتها وكذا قول الله –ﷻ – ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾[6] : البعض ها هنا الكل ، قال لبيد :

ترَّاكُ أمكنةٍ إذا لم أرضها أو يعتلقْ بعضَ النفوسِ حِمامُها

فالموت لا يعتلق بعض النفوس دون بعض "[7].

---

(١) ينظر : بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل للدكتور ظافر بن غرمان العمري أستاذ البلاغة والنقد بجامعة أم القرى ص ٣٠٠ مكتبة وهبة .

(٢) الغاشية ٨ ، ٩

(٣) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي جـ ١١ ص ٤٨

(٤) ينظر : روح المعاني للألوسي مجلد ٩ جـ ١٦ ص ٣٨٨

(٥) الغاشية ٢ – ٣

(٦) الزخرف ٦٣

(٧) ينظر : البرهان للزركشي جـ ٢ ص ٢٦٣ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة مَعْمَر بن مثنى التيمي جـ ٢ ص ٢٠٥ ط مكتبة الخانجي – القاهرة ، ديوان لبيد ص ١١٢ ط دار الصداقة العربية – بيروت والبيت بلفظ " يرتبط " بدل يعتلق ، ويرتبط بمعنى يتلف .

والمجاز لغة : مأخوذ من قولهم : جُزْتُ الطريقَ وجازَ الموضعَ جَوْزاً وجُؤُوزاً وجَوازاً ومَجازاً وجازَ به وجاوَزه جِوازاً وأَجازه وأَجاز غيرَه وجازَه سار فيه وسلكه وأَجازَه خَلَّفه وقطعه ، وجُزْت الموضع سرت فيه وأَجَزْته خَلَّفْته وقطعته ، وأَجَزْتُه : أَنْفَذْته ، قال أمرؤ القيس :

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطنُ خَبْتٍ ذي خفاف عَقَنقَل[1]

وفي الاصطلاح : هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقةٍ مع قرينة دآلةٍ على عدم إرادة المعنى الأصلي ، والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قد تكون المشابهة وقد تكون غيرها ، فإذا كانت المشابهة فهو استعارة ، وإلا فهو مجاز مرسل[2].

أهمية المجاز :

المجاز من أحسن الوسائل البيانية لإيضاح المعنى ، إذ به يخرج المعنى متصفاً بصفة حسية تكاد تعرضه على عيان السامع – لهذا شُغِفَتِ العرب باستعمال المجاز لميلها إلى الاتساع في الكلام ، والى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ ، ولِما فيها من الدقة في التعبير ، فيحصل للنفس به سرور وأريحية ، ولأمرٍ ما كثر في كلامهم ، حتى أتوا فيه بكل معنى رائق ، وزينوا به خطبهم وأشعارهم [3].

موقف العلماء من وجود المجاز في القرآن :

يقول السيوطي – رحمه الله – : أنكره جماعة منهم الظاهرية وابن القاص من الشافعية وابن خويز منداد من المالكية ، وشبهتهم أن المجاز أخو الكذب والقرآن منزه عنه ، وأن المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير، وذلك محال على الله تعالى .

---

(١) ينظر : لسان العرب لابن منظور مادة " جوز " جـ ٥ ص ٣٢٦ ، ديوان امرئ القيس بشرح حنا الفاخوري ص ٣٦ من قصيدة مطلعها : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ، والخبت : الأرض المطمئنة ، والحقف : رمل مُشْرِفٌ مُعْوج ، والعقنقل : الرمل المتلبد

(٢) ينظر : جواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمي ص ٢٣٧ وما بعدها .

(٣) ينظر : جواهر البلاغة للهاشمي ص ٢٣٧

وهذه شبهة باطلة ، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن ، فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنيه القصص وغيرها[١] .

ويقول ابن رشيق " العرب كثيراً ما تستعمل المجاز ، وتعده من مفاخر كلامها ، فإنه دليل الفصاحة ، ورأس البلاغة ، وبه بانت لغتها عن سائر اللغات ، والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة ، وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع .

ومن كلام عبد الله بن مسلم بن قتيبة في المجاز قال : لو كان المجاز كذباً لكان أكثر كلامنا باطلاً ، لأنا نقول : نبت البقل ، وطالت الشجرة ، وأينعت الثمرة "[٢] .

١ــ الكناية : في قوله " لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ "

حيث ذكر الصفة وأراد الموصوف ، والكناية عن موصوف هي أن يُصرَّح بالموصوف المطلوب النسبة إليه ولكن يُذكر مكانه صفة أو أوصاف تختص به[٣].

والاكتفاء بالصفة عن الموصوف له مسوغات وليس في كل حال :

منها : توفير العناية بالصفة لأمر يقتضي ذلك[٤] .

ومنها : أن يكون ذِكْر الصفة له تعلق بسياق الكلام ، ومنها : أن تكون تلك الصفة خاصة بالموصوف دون سواه حتى لا يكون هناك مجال للسؤال عن صاحب الصفة غير المذكور .

---

(١) ينظر : الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي النوع الثاني والخمسون : في حقيقته ومجازه جـ ٢ ص ٧٧

(٢) ينظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي جـ ١ ص ٢٦٦ ط دار الجيل

(٣) ينظر : الكناية والتعريض لأبي منصور الثعالبي ص ٣١ ط دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع طبعة ١٩٩٨ م

(٤) ينظر : خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية للدكتور عبد العظيم إبراهيم المطعني جـ ٢ ص ٤٢ ط مكتبة وهبة طبعة أولى

يقول الزركشي – رحمه الله – " حذف الموصوف يشترط فيه أمران : أحدهما: كون الصفة خاصة بالموصوف حتى يحصل العلم بالموصوف فمتى كانت الصفة عامة امتنع حذف الموصوف .

الثاني : أن يُعتمد على مجرد الصفة من حيث هي لتعلق غرض السياق كقوله تعالى ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴾[1] أي حورٌ قاصرات ، وقوله ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾[2] أي سفينة ذات ألواح[3] .

فحذف الموصوف إنما هو شيء قام الدليل عليه أو شهدت به ، وإذا استُبْهِم الموصوفُ كان حذفه غير لائق[4] .

بقي بعد ذلك أن اختيار صفةٍ ما للتعبير بها عن الموصوف لا بد وأن يكون لحكمةٍ لا تتوافر بالتعبير بسواها أو تتوافر لكنها في هذه الصفة أوفر ، وهذا هو :

بلاغة الكناية هنا : بالنظر في قوله " لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ " واختصاص هاتين الصفتين بالذكر هنا يتبين لي أن الحكمة من ذكرهما – والله أعلم– أن المقام هنا مقام تهديد ووعيد لمن كفر بالله – ﷻ– وعصاه ، فذكر الله –ﷻ– هاتين الصفتين في طيَّات الحديث عن يوم القيامة وما فيه من بعثٍ ونشر وحساب على الأعمال لأن الإله القادر على حساب الخلائق لا بد وأن يكون متصفاً بالحياة المطلقة فلا يدركه موت يمنعه من محاسبة من عصاه ، كذلك لا بد وأن يكون قيوماً لا يغفل عن حال عباده .

يقول البقاعي – رحمه الله – " لِلْحَيِّ " الذي هو مطلع على الدقائق والجلائل ، وكل ما سواه جماد حيث ما نسبت حياته إلى حياته " الْقَيُّومِ " الذي لا يغفل عن التدبير ومجازاة كل نفس بما كسبت "[5] أ.هـ

---

(١) الصافات ٤٨

(٢) القمر ١٣

(٣) البرهان للزركشي جـ ٣ ص ١٥٤ ط دار التراث .

(٤) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير جـ ٢ ص ٢٤٥، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور – المنسوب لعز الدين بن الأثير ص ٢٦٩

(٥) ينظر : نظم الدرر للبقاعي جـ ١٢ ص ٣٤٩

هذا مع ما تشير إليه صيغة المبالغة في قوله " الْقَيُّومِ " من المبالغة في القيام ، وأصله قيووم بوزن فيعول ، من قام بالأمر إذا حفظه ودبره[1] .

١ــ الاستعارة : في قوله " وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا " هنا استعارتان :

أولهما : في قوله " خَابَ " حيث عبَّر بصيغة الماضي عمَّا سيحصل يوم القيامة ، وقد تقدم الحديث قريباً عن هذا الأمر عند بيان قول الله – ﷻ – " وَعَنَتِ " .

وفائدته : إثبات الخيبة لهم بإيرادها بصيغة الماضي ، لإفادة تحقق الوقوع .

ثانيهما : في قوله " حَمَلَ " حيث استعير لفظ الحَمل الذي يُستعمل في المحسوسات للتعبير به هنا عن أمر معنوي وهو الظلم .

والمراد بالظلم هنا : الشرك أو المعصية كما ورد[2] .

ووجه البلاغة في هذه الاستعارة هنا : أنه لما كان الحمل في الغالب يترتب عليه ثِقل على الحامل له عُبِّرَ به عن حمل الظلم لما فيه من أثرٍ يشبه الثقل على صاحبه .

لذا نجد القرآن يستعمل لفظ الحمل في الأمور المستقبحة المكروهة للنفس ، وذلك كقوله ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾[3] وقوله ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[4] وغيره كثير .

ويختلف المقصود بالمحمول هنا بناءً على المقصود بـ " مَنْ " هل هم المؤمنون والكافرون أم الكافرون فقط .

يقول الألوسي – رحمه الله – : المراد بالموصول : إما المشركون ، وإما ما يعمهم وغيرهم من العصاة ، وخيبة كل حامل بقدر ما حمل من الظلم فخيبة المشرك دائمة وخيبة المؤمن العاصي مقيدة بوقت العقوبة إن عوقب[5] أ.هـ

---

(١) ينظر : التفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوي جـ ١٠ ص ٩٨

(٢) ينظر : جامع البيان للطبري مجلد ٩ جـ ١٦ ص ٢٦٩ ط دار لفكر – بيروت .

(٣) البقرة ٢٨٦

(٤) النحل ٢٥

(٥) ينظر : روح المعاني للألوسي مجلد ٩ جـ ١٦ ص ٣٨٩

المبحث الثاني

الأساليب البلاغية في قول الله – ﷻ– ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾[1]

من الأساليب البلاغية في الآية الكريمة :

١ــ مناسبة الآية لما سبقها : لما ذكر الله في الآية السابقة خضوعَ الخلق لربِّ العزة يوم القيامة وخيبةَ من عصاه بالشرك أو المعصية ، وربما ترتب على هذا نوع خوفٍ من المؤمنين فجاء في هذه الآية بما يُطَمئن عباده المؤمنين الطائعين العاملين بالصالحات أنهم لن يُظلموا ولن يُضيع الله –ﷻ– ثواب أعمالهم التي عملوها فقال لهم ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ .

٢ــ التقييد بالحال : في قوله " وَهُوَ مُؤْمِنٌ " .

وفي هذا من البلاغة حصر قبول الأعمال الصالحة على المؤمنين بالله – ﷻ– فقط ذلك أن الإيمان شرط قبول الأعمال ، والتقييد بذلك لأن الإيمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات[2].

وقال الألوسي – رحمه الله – في تفسير ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[3] : قوله تعالى ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ حال وفي اشتراط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب الذي تضمنه ما يأتي تنبيه على أنه لا اعتداد به دونه ، وفيه دفع توهم أن العمل الصالح ينفع الكافر[4] انتهى بتصرف يسير .

والقرآن في كل آياته في التي تتحدث عن العمل الصالح يقرن العمل الصالح بالإيمان ويقدّم ذكر الإيمان عليه حتى يبين أن الإيمان شرط قبول العمل .

---

(١) طه ١١٢

(٢) روح المعاني مجلد ٩ جـ ١٦ ص ٣٨٩

(٣) النساء ١٢٤

(٤) روح المعاني مجلد ٤ جـ ٥ ص ٢٢٥

بلاغة التقييد بالحال : التقييد بالحال – كما سبق – فائدته قصر النفي في الأفعال المذكورة على الحال المقيدة بها وهي الإيمان ، فلو جاءت الآية دون هذا القيد لربما تُوهم أن الكافر لو عمل صالحاً فإنه يثاب عليه يوم القيامة ، لكن التقييد بحال الإيمان رفع هذا التوهم .

١– التنكير : في قوله " ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا "

الهضم : نقصان بعض الحق ولا يقال لمن أُخِذَ جميعُ حقه قد هُضِمَ ، والظلم يكون في البعض والكل وفي القرآن " فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا " أي لا يمنع حقه ولا بعض حقه وأصل الهضم في العربية النقصان ومنه قيل للمنخفض من الأرض هضم والجمع أهضام[١] .

ووراء كل من التعريف والتنكير أسرار ومزايا بلاغية تتجلى لمن أُنعم النظر في سياقات الكلام ووقف على مواقع أجزائه ، لأن النكرة لها دلالات وإيحاءات لا تكون للمعرفة وكذلك المعرفة لها دلالاتها وإيحاءاتها[٢] .

وقد جاء اللفظان " ظُلْمًا – هَضْمًا " بالتنكير إشارة إلى التقليل .

يقول الدكتور طنطاوي – رحمه الله – " فالآية الكريمة قد بشرت المؤمنين بأن الله – ﷻ– بفضله وكرمه سيوفيهم أجورهم يوم القيامة ، بدون أدنى ظلم أو نقص من ثوابهم ، فالتنكير في قوله " ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا " للتقليل "[٣].

فجاءت الآية نافية لنوعي الظلم والهضم معاً بالتنكير إشارة إلى انتفاء جميع أنواع الانتقاص من ثواب العمل الصالح المقترن بالإيمان مهما كان هذا الانتقاص يسيراً .

٢– رعاية الفاصلة : في قوله " هَضْمًا " إلى آخر السورة الكريمة .

والفاصلة كما قال السيوطي – رحمه الله – " كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع "[٤] .

---

(١) الفروق اللغوية للحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ص ٢٦٠ علق عليه ووضع حواشيه محمد باسل عيون السود ط دار الكتب العلمية بيروت طبعة أولى ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠ م

(٢) من بلاغة النظم القرآني ص ٣٢ وما بعدها .

(٣) التفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوي جـ ١٠ ص ٩٩

(٤) الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي النوع التاسع والخمسون : في فواصل الآي جـ ٢ ص ٢٠٩ ط دار الكتب العلمية – بيروت .

وذكر الإمام الزركشي – رحمه الله – أن الفاصلة تقع عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها وهى الطريقة التي يباين القرآنُ بها سائرَ الكلام ، وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ولم يسموها أسجاعاً[1] أ.هـ

وقد وقع اختلاف بين العلماء في تسمية مثل هذا بالفاصلة أو السجع ، وهذا بيان موجز لاختلافهم :

أولاً : تعريف السجع :

السجع في اللغة : سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً استوى واستقام وأَشبه بعضه بعضاً ، والسجع الكلام المُقَفَّى والجمع أَسجاع وأَساجِيعُ وكلام مُسَجَّع وسَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً وسَجَّعَ تَسْجِيعاً تَكَلَّم بكلام له فَواصِلُ كفواصِلِ الشِّعْر من غير وزن ، قال ابن جني سمي سَجْعاً لاشتباه أَواخِره وتناسب فَواصِلِه[2].

وفي اصطلاح علماء البلاغة : " تواطؤ الفاصلتين أو الفواصل على حرف واحد أو على حرفين متقاربين أو حروف متقاربة " ويقع في الشِّعر كما يقع في النثر ، فمما تواطأت فيه الفواصل على حرف واحدٍ ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۞ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۞ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴾[3] ومن التواطؤ على حروف متقاربة ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۞ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾[4] فالدال والباء حرفان متقاربان[5] .

والسجع في الكلام من محسناته التي تضفي عليه رونقاً وجمالاً شريطة التناغم بين الألفاظ وعدم التنافر بينها وعدم التكلف في السجع بأن يكون هو المطلوب الأساسي قبل المعنى .

---

(١) البرهان في علوم القرآن للإمام لمحمد بن عبد الله الزركشي جـ ١ ص ٥٤ ط مكتبة دار التراث .

(٢) لسان العرب مادة "سجع " جـ ٨ ص ١٥٠

(٣) العاديات ١ – ٢ – ٣

(٤) ق ١ – ٢

(٥) علم البديع لبسيوني عبد الفتاح فيود ص ٢٩٦ ط مؤسسة المختار للنشر والتوزيع .

القائلون بوجود السجع في القرآن :

نجد فريقاً من العلماء يطلق وصف السجع على ما يقع من مثل هذا في القرآن ، وعدَّوه من السجع الحسن غير المتكلف وذكروا من أمثلة ذلك في سورة طه قوله " ظُلْمًا[1] هَضْمًا[2] " إلى آخر السورة[3].

ويذكر الشيخ عبد القاهر الجرجاني – رحمه الله – قيمة السجع غير المتكلف وهو الذي يكون السجع فيه تابعاً للمعنى وليس لأجل السجع نفسه فيقول " لا تجد تجنيساً مقبولاً ولا سَجَعاً حَسَنَاً، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وسَاق نحوَه ، وحتى تَجِده لا تبتغي به بدَلاً ، ولا تجِد عنه حِوَلاً ، ومن هاهنا كان أَحْلَى تجنيس تسمَعُه وأعلاه ، وأحقّه بالحُسْن وأولاهُ ، ما وقع من غير قصدٍ من المتكلم إلى اجتلابه ، وتأهُّب لطلبه " إلى أن قال – رحمه الله – : وإن أنت تتبعتَه من الأثر وكلام النبي – ﷺ– تثق كل الثقة بوجودك له على الصفة التي قدمتُ وذلك كقول النبي – ﷺ– " يا أيُّهَا الناس ، أَفْشُوا السلام ، وأَطْعِمُوا الطعام ، وصِلُواْ الأرحامَ ، وصَلُّوا بالليلِ ، والناسُ نِيامٌ ، تدخلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ " ، فأنت لا تجد في جميع ما ذكرتُ لفظاً اجتُلِب من أجل السجع ، وتُرك له ما هو أحقُّ بالمعنى منه وأبرُّ به وأهدى إلى مذهبه)[4].

وممن قال بوجوده في القرآن الكريم ودافع عنه ابن الأثير – رحمه الله – حيث قال " وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة ولو كان مذموماً لما ورد في القرآن الكريم

---

(١) طه ١١١

(٢) طه ١١٢

(٣) ينظر : الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم لمحمد حسين سلامة ص ١٨١ ط دار الأوقاف العربية

(٤) ينظر : أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ ص ٧٩ ط مكتبة الإيمان . ، والحديث رواه والحاكم وصححه ووافقه الذهبي فقال " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " ينظر : المستدرك للحافظ محمد بن عبد الله الحاكم ، وبهامشه التلخيص للحافظ محمد بن أحمد الذهبي جـ ٣ ص ١٤ كتاب : الهجرة ، حديث ٤٢٨٣ ط دار الكتب العلمية ، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم للدكتور منير محمود المسيري ص ٤٨٥ ط مكتبة وهبة

فإنه قد أتى منه بالكثير ، حتى إنه ليؤتى بالسورة جميعها مسجوعة ، كسورة الرحمن وسورة القمر وغيرهما ، وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور"[1] أ.هـ

المانعون لإطلاق لفظ السجع على ما في القرآن :

من العلماء من رفض إطلاق وصف السجع على القرآن تأدباً مع الله –ﷻ– فمنعوا إطلاق لفظ السجع على ما في القرآن وقالوا عنها " الفواصل القرآنية "[2] .

قال الجاحظ : سمى الله كتابه اسماً مخالفاً لما سمى العرب كلامهم على الجمل والتفصيل ، سمى جملته قرآناً كما سموا ديواناً ، وبعضه سورة كقصيدة ، وبعضها آية كالبيت ، وآخرها فاصلة كقافية[3] .

وذكر الزجاج – رحمه الله – : أنَّ حُذَّاق النحويين والمتبعينَ السُّنَّةَ من حُذاقِهِمْ يطلقون على أواخر الآيات فَوَاصلُ[4] .

ويذكر الرُّماني – رحمه الله – الفارق ما بين الفواصل والسجع فيقول : الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني ، والفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها[5] .

وممن منع إطلاق لفظ السجع على ما في القرآن تنزيهاً له عن مشابهة الشعر الإمامُ الزركشي رحمه الله – حيث قال في الفرق بين إطلاق لفظ الفاصلة ولفظ السجع " فأما مناسبة فواصل فلقوله تعالى " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ "[6] وأما تجنب أسجاع فلأن أصله من سجع الطير ،

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير جـ ١ ص ١٩٤ – ١٩٥

(٢) البلاغة العربية في ثوبها الجديد للدكتور بكري شيخ أمين ص ١٢٠ ط دار العلم للملايين – بيروت .

(٣) الإتقان للسيوطي النوع السابع عشر : في معرفة أسمائه وأسماء سوره جـ ١ ص ١١

(٤) معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السّري الزجاج جـ ٤ ص ٢١٨ ط عالم الكتب – بيروت

(٥) ينظر : الإتقان للسيوطي النوع التاسع والخمسون : في فواصل االآي جـ ٢ ص ٢١١ ، النكت في إعجاز القرآن للرماني باب الفواصل ص ٩٧ ط دار المعارف – مصر .

(٦) فصلت ٣

فشُرِّف القرآنُ الكريم أن يستعار لشئ فيه لفظٌ هو أصل في صوت الطائر ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في اسم السجع الواقع في كلام آحاد الناس ، ولأن القرآن من صفات الله – ﷻ– فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها وإن صح المعنى ، ثم فرقوا بينهما فقالوا السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحيل المعنى عليه والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها "[1] أ.هـ

وقد منع السابقون إطلاق وصف السجع على فواصل الآيات لأن الفواصل تابعة للمعاني بخلاف الأسجاع التي تجعل المعاني تابعة لها ولِمَا أن القوم كانوا حديثي عهد بسجع الكهان فوقع النهي عن ذلك ، وسجع الكهان ألفاظ استعملت لإيقاعاتها الصوتية بغض النظر عن حاجة المعنى لها أو نفوره منها ، فهو إيقاع بلا معنى وتكلف وتخليط[2].

فهؤلاء العلماء منعوا وصف القرآن بالسجع تنزيهاً للقرآن عن صفة الشعرية[3] .

الترجيح :

مما ذكرتُه عن العلماء المجيزين والمانعين يتبين لي أن اختلافهم راجع للفظ السجع نفسه وأن المانعين لهذا الوصف لم ينكروا وجود آيات متناغمة النهايات في القرآن الكريم تشبه السجع .

وأن المانعين وقفوا عند اللفظ وأصله ولم يذكروا سبباً لمنع إطلاقه على القرآن إلا اشتراك الشعر فيه .

أما السبب الآخر وهو أن السجع يجعل المعنى تابعاً للألفاظ فهذا مما لم يأتِ في القرآن الكريم فالفواصل المتناغمة التي جاءت على هذا النهج كانت الفاصلة المتناغمة فيها تابعة للمعنى وليس العكس ، كما أنَّ مجيئها على هذه الهيئة كان أرقى منزلة وأعلى رتبة في فصاحته مما تعوده العرب في سجعهم شعراً ونثراً .

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي جـ ١ ص ٥٤

(٢) البديع تأصيل وتجديد للدكتور منير سلطان ص ٣٠ ، ٣٩ وما بعدهما ط منشأة المعارف بالأسكندرية

(٣) التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية للدكتور أحمد سعد محمد ص ٥٠١ ط مكتبة الإيمان

إذن فالتناغم موجود بغضِّ النظر عن وصفه بالسجع أو الفاصلة ، لكن من قبيل المحافظة على خصوصية القرآن وتميُّزه عن مشابهة الشعر يكون إطلاق لفظ الفاصلة أبعد عن المشابهة وأقرب لرعاية خصوصية القرآن الكريم وصيانته عن مشابهة كلام البشر حتى وإن كانت الفواصل مشابهة للسجع في هيئتها الظاهرة .

المبحث الثالث

الأساليب البلاغية في قول الله – ﷻ–﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾[1]

اشتملت الآية على كثير من الأساليب البلاغية منها :

١ــ مناسبة الآية لما سبقها : لما ذكر الله –ﷻ – في الآيات السابقة وعيده لمن عصاه بالكفر أو المعصية فظلم نفسه ، ثم أتبع ذلك بوعده لمن أطاعه بالعمل الصالح المقترن بالإيمان ونفى عنه الظلم وانتقاص الثواب فجاءت هذه الآية مبيِّنة أن الله –ﷻ – أنزل القرآن عربياً حتى يفقهوه وصرَّف لهم فيه من الوعيد حتى يتعظوا ويترجروا ويتقوا الله بأن يؤمنوا به فلا يكون لمن عصاه عند الله حجة .

٢ــ التشبيه : في قوله " وَكَذَلِكَ "

تأتي " كَذَلِكَ " في القرآن لأغراض منها : التشبيه ، وذلك عندما يراد عقد صلة بين أمرين ، ولمح ما بينهما من ارتباط ، وهنا يؤدي التشبيه رسالته في إيضاح المعنى وتوطيده في النفس ، تجد ذلك عند قول الله – ﷻ– ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[2] فالصلة وثيقة بين بعث الحياة في الموتى وبين بعث الحياة في الأرض الميتة ، وهي أيضاً للتشبيه في قول الله – ﷻ– ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ﴾[3] وما على نسق هذه الآيات مما تعقد فيه الكاف صلة بين أمرين[4].

---

(١) طه ١١٣

(٢) الأعراف ٥٧

(٣) النساء ٩٤

(٤) من بلاغة القرآن للدكتور أحمد بدوي ص ١٦٣ ط دار نهضة مصر ط ٢٠٠٥ م

يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي – رحمه الله – " الكاف للتشبيه ، واسم الإشارة يعود على إنزال ما سبق من آيات "[1] أ.هـ

فقوله " وَكَذَلِكَ " أي ومثل ذلك الإنزال ، وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات المضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة ، مكرّرين فيه آيات الوعيد ليكونوا بحيث يراد منهم ترك المعاصي أو فعل الخير والطاعة [2] .

فالتشبيه هنا : لإفادة انتظام القرآن كله على درجة واحدة من البلاغة والفصاحة ، واشتماله على الوعد والوعيد ترغيباً وترهيباً .

١ـ التفسير بعد الإبهام : في قوله " أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا " .

ووصفه الألوسي – رحمه الله – بالإظهار بعد الإضمار حيث قال : إنَّ الله –ﷻ– ذكر القرآنَ مضمراً في قوله " أَنْزَلْنَاهُ " من غير سبق ذِكرٍ له[3] .

وقد عبَّر عنه ابن الأثير بالتفسير بعد الإبهام ، وفرَّق بينه وبين الإظهار بعد الإضمار من جهة أنَّ المضمر يأتي بعد مظهرٍ تقدم ذكره أولاً ، ثم يعطف المظهر على ضميره ، أي على ضمير نفسه ، وأما التفسير بعد الإبهام فإن المبهم يقدم أولاً ، وهو أن يُذكر شيءٌ يقع عليه محتملات كثيرة ، ثم يفسر بإيقاعه على واحد منها، وليس كذلك عطف المظهر على ضميره وذكر أن الفائدة من الأمرين واحدة وهي تفخيم أمره[4] .

وفي ذلك من بلاغة المتكلم أنه يشوِّق المستمع لهذا المذكور مضمراً ما هو ؟ فيثير في نفسه الرغبة والشوق لمعرفته ، فإذا جاء البيان بعد ذلك أصاب في القلب موقعاً لا يحصل بغيره .

يقول ابن الأثير – رحمه الله – : يفعل ذلك لتفخيم المبهم وإعظامه ، لأنه هو الذي يطرق السمع أولاً ، فيذهب السامع كل مذهب كقوله تعالى ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ

---

(١) التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي جـ ١٠ ص ١٠٠ ط مطبعة السعادة .

(٢) الكشاف للزمخشري جـ ٣ ص ٨٧

(٣) روح المعاني للألوسي مجلد ٩ جـ ١٦ ص ٣٩٠

(٤)المثل السائر لضياء الدين بن الأثير جـ ٢ ص ١٦٠

دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴾[1] وفي إبهامه أولاً وتفسيره بعد ذلك تفخيم للأمر ، وتعظيم لشأنه ، فإنه لو قال تعالى "وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع .... " لما كان بهذه المثابة من الفخامة ، فإن الإبهام أولاً يوقع السامع في حيرة وتفكّر ، واستعظام لما قرع سمعه ، وتشوق إلى معرفة كنهه ، والاطلاع على حقيقته[2] أ.هـ

كما أنَّ من أغراض هذا الإضمار مع عدم سبق ذكره فيما سبق من كلام الإشارةُ إلى شهرته وكأنَّ السامع ينبغي أن يعلمه دون حاجة إلى بيانه .

يقول الإمام أبو السعود رحمه الله " وإضمارُه من غير سبق ذكرِه للإيذان بنباهة شأنِه وكونِه مركوزاً في العقول حاضراً في الأذهان "[3] .

ومما يساعد على حضوره في الأذهان دون التصريح به إسنادُ الإنـــزال لله – ﷻ – وذلك فيه من التعظيم للمُنَزَّل ما فيه[4] .

١ــ التقييد بالوصف : في قوله " عَرَبِيًّا "

امتنَّ الله –ﷻ – على البشر بأنه ما أرسل لهم رسولاً إلا بلسانهم كي يبين لهم ما يُراد منهم كي لا تكون لهم حجة على ربهم ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُـــمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[5] .

وعلة الوصف هنا إقامة الحجة عليهم حيث جاء بلغتهم ، يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله – : " عَرَبِيًّا " صفة " قُرْآنًا " ، وهذا وصف يفيد المدح ، لأنّ اللغة العربية أبلـــغ اللّغات وأحسنها فصاحة وانسجاماً ، وفيه تعريض بالامتنـــان علـــى العـــرب ، وتحميـــق

---

(١) الحجر ٦٦

(٢) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور لابن الأثير ص ٣١٨

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لمحمد بن مصطفى أبي السعود العمادي جـــ ٣ ص ٦٦٩ ط مكتبة الرياض الحديثة تحقيق /عبد القادر أحمد عطا .

(٤) خصائص التراكيب للدكتور محمد أبو موسي ص ١٦٢ ط دار التضامن للطباعة طبعة ثانية ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م

(٥) إبراهيم ٤

للمشركين منهم حيث أعرضوا عنه وكذبوا به ، قال تعالى﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1][2] أ.هـ

كما أنه ذمٌّ للمشركين وتعريض بهم كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[3] فإنه تعريض بذم الكفار وأنهم من فرط العناد وغلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل[4] .

١ـ أسلوب الرجاء : في قوله " لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ".

حيث عبَّر بـ " لعل " الدآلة على الرجاء ، والرجاء نوع من أنواع من الإنشاء غير الطلبي .

والإنشاء لغة : الإيجاد ، واصطلاحاً " ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته " نحو اغفر وارحم فلا يُنسب إلى قائله صدق أو كذب ، وهو ينقسم إلى قسمين : الأول : طلبي : وهو الذي يستدعي مطلوباً غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب ويكون بالأمر والنهي والاستفهام والتمني والنداء ، الثاني : غير الطلبي : ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل في وقت الطلب كصيغ المدح والذم والقسم والتعجب والرجاء[5] .

استعمال " لَعَلَّ " في اللغة :

لما كانت " لَعَلَّ " في اللغة تدور على معاني الرجاء والطمع وهذه المعاني لا تليق بالله – ﷻ– لما فيها من أنَّ هذه المعاني تستلزم جهل أصحابها وعدم علمهم بتحقق الرجاء والطمع من عدمه نرى العلماء يؤولون هذا اللفظ فيما ورد مسنداً في القرآن لله –ﷻ – لمعانٍ أخرى ، فحملها بعضهم على معنى الرجاء بالنسبة للمخاطَبين بها ، وبعضهم حملها على معنى التعليل ، وهذا بيان لأقولهم فيها :

---

(١) الأنبياء ١٠

(٢) التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣١٤

(٣) الرعد ١٩

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ص ١٠٤

(٥) ينظر : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للسيد أحمد الهاشمي ص ٦١ ، شرح دروس في البلاغة ص ٥٤

القول الأول : أنها للرجاء والطمع بالنسبة للمخلوقين :

ذكر بعضُ المفسرين أن (لعل) من الله واجب ، وفُسِّرَ في كثير من المواضع بـ " كي " وقالوا : إن الطمع والإشفاق لا يصح على الله ﷻ ، و(لعل) وإن كان طمعاً فإن ذلك يقتضي في كلامهم تارة طمع المخاطب ، وتارة طمع غيره ، فقول الله – ﷻ– فيما ذكر عن قوم فرعون ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ ﴾[1] فذلك طمع منهم ، وقوله في فرعون ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[2] فإطماع لموسى –عليه السلام – مع هارون ، ومعناه : فقولا له قولاً ليناً راجين أن يتذكر أو يخشى[3] .

وذكر الزركشي – رحمه الله – أنَّ " عسى" و" لعل " من الله تعالى واجبتان وان كانتا رجاءً وطمعاً في كلام المخلوقين ، لأن الخلق هم الذين يعرض لهم الشكوك والظنون والبارئُ منزه عن ذلك ، والوجه في استعمال هذه الألفاظ أن الأمور الممكنة لما كان الخلق يشكون فيها ولا يقطعون على الكائن منها وكان الله يعلم الكائن منها على الصحة صارت لها نسبتان : نسبة إلى الله – تعالى – تسمى نسبة قطع ويقين ، ونسبة إلى المخلوق وتسمى نسبة شك وظن فصارت هذه الألفاظ لذلك ترد تارة بلفظ القطع بحسب ما هي عليه عند الله كقوله ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[4] وقد علم الله حين أرسلهما ما يفضى إليه حالُ فرعون ، لكن ورد اللفظ بصورة ما يختلج في نفس موسى وهارون من الرجاء والطمع ، فكأنه قال : انهضا إليه وقولا في نفوسكما لعله يتذكر أو يخشى[5] انتهى بتصرف .

وممن حملها على هذا المعنى سيبويه حيث ذكر أنها للترجي ، وهو ترج للعباد كقوله تعالى ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾[6] معناه : اذهبا على رجائكما ذلك من فرعون[7] .

---

(١) الشعراء٤٠

(٢) طه ٤٤

(٣) معجم مفردات ألفظ القرآن للحسين بن محمد الراغب الأصفهاني مادة " لعل" ص ٤٧١

(٤) طه ٤٤

(٥) البرهان للزركشي جـ ٤ ص ١٥٨

(٦) طه ٤٤

(٧) الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المُرادي ص ٥٧٩ ط دار الكتب العلمية – بيروت ط أولى ١٩٩٢ م

فالمعنى أنها حَمْلٌ لنا على أن نرجو أو نشفق وبهذا قال جماعة من أئمة اللغة والتفسير كالشوكاني وابن عطية وغيرهما[1] .

القول الثاني : أنَّ " لَعَلَّ " للتعليل وهي بمعنى كي .

وهذا معنى أثبته الكسائي والأخفش ، وحملا على ذلك ما في القرآن من نحو ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[2] ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[3] أي: لتشكروا ، ولتهتدوا .

وقال الأخفش في قوله ﴿ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ ﴾[4] أن هذا كقول الرجل لصاحبه " لَعَلَّنَا نَتَغَدّى" والمعنى " لِنَتَغَدّى" و"حتّى نَتَغَدّىَ " ، وتقول للرجل " اِعْمَلْ عَمَلَكَ لَعَلَّكَ تَأْخُذُ أَجْرَكَ " أي : لِتَأْخُذَه[5].

يقول الطبري – رحمه الله – " لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ " يقول : كي يتقونا بتصريفنا ما صرفنا فيه من الوعيد[6] ، وبهذا المعنى قال أبو السعود والنحاس وغيرهما[7] .

وبلاغة التعبير بـ " لَعَلَّ " هنا : إرشاد العباد إلى وجوب التدبر والتفكر في كتاب الله – ﷻ– لأن ذلك التدبر هو رجاؤهم الذي يوصلهم للتقوى والاتعاظ بأخبار السابقين .

---

(١) ينظر : فتح القدير للشوكاني جـ ١ ص ١٣٦ ط دار الوفاء ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي جـ ٦ ص ١٣٦ ، شرح الرضي على الكافية جـ ٤ ص ٣٣٢

(٢) البقرة ٥٦

(٣) البقرة ٥٣

(٤) طه ٤٤

(٥) معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط ٤٤٥

(٦) جامع البيان للطبري مجلد ٩ جـ ١٦ ص ٢٧١

(٧) إرشاد العقل السليم جـ ٣ ص ٦٦٩ ، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه تصنيف / محمود صافي ط دار الرشيد – دمشق ، بيروت مجلد ٨ جـ ١٦ ص ٤٢٨ ، إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ط دار المعرفة – بيروت ص ٢٩٢

المبحث الرابع

الأساليب البلاغية في قول الله – ﷻ– ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[1]

من الأساليب البلاغية في الآية الكريمة :

(١) مناسبة الآية لما سبقها : لما ذكر الله –ﷻ – في الآية السابقة إنزال القرآن، وأسنده إلى نفسه ردّاً على الكافرين الذين حاولوا نسبة القرآن لغير الله –ﷻ – ردَّ الله –ﷻ – عليهم في هذه الآية مرة أخرى بذكر تعاليه عن مثل هذه السفاهات التي يحاولون ترويجها بالباطل فقال " فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ " ، كذلك لما ذكر الله – ﷻ– إنزال القرآن على نبيِّه محمدٍ – ﷺ– عربياً بلغته ولغة قومه وكان من عادة النبي – ﷺ– وقت نزول القرآن عليه أن يردد القراءة مع جبريل –عليه السلام – خوفاً من نسيانه فقال الله له في هذه الآية مطمئناً له " وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ ... "

(٢) الالتفات من التكلم إلى الغيبة : في قوله ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ " فبعد أن كان الحديث بصيغة التكلم في قوله ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ ... ﴾[2] جاءت هذه الآية بصيغة الغيبة ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ..... ﴾[3] .

والكلام عن الالتفات هنا لا يَرِدُ عليه اعتراض بأن الكلام في آيتين منفصلتين ، فالقرآن كله متصل ببعض ، فلا مجال لفصل آية عن سابقتها ولا لاحقتها .

والالتفات في اللغة : صرفُ الشيء عن جهته إلى جهةٍ أخرى : يقال : لَفَتَ وجهَه عن القوم صَرَفَه والْتَفَتَ التِفاتاً ، والتَّلَفُّتُ أَكثرُ منه وتَلَفَّتَ إِلى الشيء والْتَفَتَ إليه صَرَفَ وجْهَه إليه ، واللَّفْتُ : اللَّيُّ ولَفَتَه يَلْفِتُه لَفْتاً : لواه على غير جهته ، اللَّفْتُ الصَّرْفُ يقال ما لَفَتَك عن فلانٍ أَي ما صَرَفَك عنه[4] .

---

(١) طه ١١٤

(٢) طه ١١٣

(٣) أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية للدكتور حسن طبل ص ١٩٨ ط دار الفكر العربي

(٤) لسان العرب مادة " لفت " جـ ٢ ص ٨٤

وفي الاصطلاح : التحويل في التعبير الكلاميّ من اتجاه إلى آخر من جهات أو طرق الكلام الثلاث : " التكلّم – والخطاب – والغيبة" مع أنّ الظاهر في متابعة الكلام يقتضي الاستمرار على ملازمة التعبير وفق الطريقة المختارة أوّلاً دون التحوّل عنها[1].

القيمة البلاغية للالتفات : بما أنَّ الالتفات نوع من أنواع البلاغة في الكلام فلا بد من اشتماله على فائدة تترتب عليه ، لذا نجد العلماء يبينون فائدته فيقولون : إنَّ الالتفات وهو الانتقال من كل من التكلُّم – أو الخطاب أو الغيبة – إلى صاحبه لمقتضيات ومناسبات تظهر بالتأمل في مواقع الالتفات ، تفنناً في الحديث ، وتلويناً للخطاب ، حتى لا يمل السّامع من التزام حالة واحدة ، وتنشيطا وحملا له على زيادة الاصغاء فان لكل جديد لذة ولبعض مواقعه لطائف ، مِلاكُ إدراكها الذوق السليم[2].

بلاغة الالتفات في الآية الكريمة: بخلاف الغرض العام للالتفات نجد له في الآية الكريمة بلاغة في تحول الحديث من التكلم إلى الغيبة ، فبعد أن كان الحديث بصيغة التكلم في قوله ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ..... ﴾[3] وكان في الآية من المنِّ عليهم بهذا الإنزال بهذه الكيفية بما يشبه الترغيب لهم في الإيمان به والانقياد له نجد الآية محل البحث تأتي بصيغة الغائب " فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ..." وذلك كالترهيب بعد الترغيب ، وفي ذلك ما فيه من تربية المهابة والتخويف لمن لم يتقوا الله –ﷻ – ولم يتعظوا بعظة الخطاب القرآني الحكيم الذي نزل بلغتهم ، ولا شك أن التعبير بصيغة الغائب يلقي في النفس جلالة ومهابة من ذلك الإله المتعالي المتصف بصفتي المُلك والحق ، والله أعلم

(١) المدح : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾ :

يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله – في قوله " فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ " هذا إنشاء ثناء على الله مترِل القرآن وعلى منة هذا القرآن ، وتلقين لشكره على ما بين لعباده من

---

(١) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني جـ ١ ص ٤٧٩ ط دار القلم – دمشق

(٢) جواهر البلاغة للسيد أحمد الهاشمي ص ٢٠١

(٣) طه ١١٣

وسائل الإصلاح وحملهم عليه بالترغيب والترهيب وتوجيهه إليهم بأبلغ كلام وأحسن أسلوب[1] .

والمدح من الإنشاء غير الطلبي[2] .

ومدح الله – ﷻ– لنفسه هنا كي يقع الأمر في نفوس المستمعين على أوقع ما يكون من القبول والرهبة من ذلك الإله المالك لكل شيء ، كما أن ملكه للأشياء ملك حقٍ حيث هو الخالق له والموجد له من العدم فينبغي بعد ذلك الوصف الحق له أن يطيعه المخاطبون ويلتزموا أوامره بغير تمرد أو عصيان ، وحتى يستبعدوا عنه كل وصف لا يليق بذاته العليَّة فهو الرفيق بهم الرحيم بضعفهم فأنزل القرآن بلغتهم كي يفقهوه ويتيسر لهم فهمه .

(٢) التعريف : في قوله " الْمَلِكُ الْحَقُّ ":

يقول عبد القاهر الجرجاني – رحمه الله – عن الغرض من التعريف " واعلم أنك تجد الألف واللام في الخبر على معنى الجنس ، ثم ترى له في ذلك وجوهاً : أحدهما : أن تقصر جنس المعنى على المخبر عنه لقصدك المبالغة ، وذلك قولك : زيد هو الجواد ، وعمرو هو الشجاع ، تريد أنه الكامل ، إلا أنك تخرج الكلام في صورة توهم أن الجود والشجاعة لم توجد إلا فيه ، وذلك لأنك لم تعتدَّ بما كان من غيره لقصوره عن أن يبلغ الكمال"[3] .

بلاغة التعريف هنا : في وصف الله –ﷻ – نفسه بالحق إيماء إلى أن مُلك غيره من المتسمين بالملوك لا يخلو من نقص كما قال تعالى ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ ﴾[4][5].

فالله – ﷻ– يخبرنا بهذا التعريف بأنه الملك الحق ولا أحد سواه يستحق هذا الوصف المعرَّف بالألف واللام ، فإذا ذُكر اللفظ معرفاً يصدق على الله –ﷻ – فقط .

---

(١) التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣١٥

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع للسيد أحمد الهاشمي ص ٦١

(٣) دلائل الإعجاز لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ص ١٧٩ ط مكتبة الخانجي – القاهرة .

(٤) الفرقان ٢٦

(٥) التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣١٥

يقول الطاهر – رحمه الله – : والجمع بين اسم الجلالة واسمه (الْمَلِكُ) إشارة إلى أن إعظامه وإجلاله مستحقان لذاته بالاسم الجامع لصفات الكمال ، وهو الدال على انحصار الإلهية وكمالها ، ثم أتبع بـ " الْحَقُّ" للإشارة إلى أن تصرفاته واضحة الدلالة على أن ملكه ملك حق لا تصرف فيه إلا بما هو مقتضى الحكمة ، والحق: الذي ليس في ملكه شائبة عجز ولا خضوع لغيره ، وفيه تعريض بأن ملك غيره زائف[1].

(٣) النهي والأمر : في قوله ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ :

فالنهي من نوع الإنشاء الطلبي ، وهو استدعاء مطلوب غير حاصل وقت الطلب[2] وفي قوله " وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا " إنشاء طلبي بالأمر[3].

بلاغة الإنشاء في الآية : جاء الأمر والنهي هنا خطاباً للنبي ﷺ – بعد أن ذكر الله – ﷻ– إنزال القرآن عربياً – تطميناً للنبي – ﷺ– حتى يترك عادته في استعجال القراءة مع جبريل –عليه السلام – وقت نزول القرآن وفي ذلك ما فيه من المشقة عليه ، وجاء فيها أيضاً تعليمه وإرشاده لطلب العلم والفهم من الله ﷻ .

يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله – : جملة " وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ " ناشئة على ما تقدم من التنويه بالقرآن وما اشتمل عليه من تصاريف إصلاح الناس ، فلما كان النبي – ﷺ– حريصاً على صلاح الأمة شديد الاهتمام بنجاتهم لا جرم خطرت بقلبه الشريف عقب سماع تلك الآيات رغبةٌ أو طُلبةٌ في الإكثار من نزول القرآن وفي التعجيل به إسراعاً بعظة الناس وصلاحهم ، فعلَّمه الله أن يَكِلَ الأمر إليه فإنه أعلم بحيث يناسب حال الأمة العام[4] أ.هـ

---

(١) التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣١٦

(٢) الإيضاح جـ ٣ ص ٥٢

(٢) الإيضاح جـ ٣ ص ٨١

(٤) التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣١٦

المبحث الخامس

الأساليب البلاغية في قول الله – ﷻ–

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾[1]

اشتملت الآية الكريمة على كثير من الأساليب البلاغية منها :

١ــ مناسبة الآية لما سبقها : يقول الطاهر – رحمه الله – : لما كانت قصة موسى –عليه السلام – مع فرعون ومع قومه ذات عبرة للمكذبين والمعاندين الذين كذبوا النبي – ﷺ– وعاندوه ، وذلك المقصود من قصصها ، فكأن النبي – ﷺ– استحب الزيادة من هذه القصص ذات العبرة رجاء أن قومه يفيقون من ضلالتهم ، أعقبت تلك القصة بقصة آدم –عليه السلام – وما عرض له به الشيطان ، تحقيقا لفائدة قوله ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[2][3] انتهى بتصرف .

كذلك ذُكر أنه لما تقدّم " كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ "[4] كان من هذا الإنباء قصةُ آدم ليتحفظ بنوه من وسوسة الشيطان ويتنبهوا على غوائله ، ومن أطاع الشيطان منهم ذُكّر بما جرى لأبيه آدم معه وأنه قد ظهرتْ له عداوته ، ومع ذلك نسي ما عَهِدَ إليه ربُّه[5]

١ــ القسم والتحقيق : في قوله " وَلَقَدْ " :

اللامُ هنا للقسمِ أيْ : وأُقسِم أو وبالله أو تالله لقد أمرناه ووصّيناه[6] .

يقول الطاهر بن عاشور– رحمه الله – : وافتتاح الجملة بحرف التحقيق ولام القسم لمجرد الاهتمام بالقصة تنبيهاً على قصد التنظير بين القصتين في التفريط في العهد ، لأن في القصة الأولى تفريطَ بني إسرائيل في عهد الله ، كما قال فيها ﴿ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا

---

(١) طه ١١٥

(٢) طه ١١٤

(٣) التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣١٨

(٤) طه ٩٩

(٥) البحر المحيط جـ ٦ ص ٢٦٢

(٦) الجدول في إعراب القرآن جـ ٨ ص ٤٣٠ ، إرشاد العقل السليم لأبي السعود جـ ٣ ص ٦٧٠

أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ "[1] ، وفي قصة آدم تفريطاً في العهد أيضاً ، وفي كون ذلك من عمل الشيطان كما قال في القصة الأولى ﴿ وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴾[2] وقال في هذه " فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ "[3][4] .

بلاغة القسم في الآية : والغرض من القسم هنا الاهتمام بالقصة وما فيها من تفاصيل استدعت ذكرها في هذا الموطن ، والاهتمام موجه للمستمع حتى لا يمرَّ على القصة مرَّ الكرام دون تدبر لما فيها .

١ــ الإيجاز : في قوله " عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ ":

والإيجاز : جمع المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل الوافي بالغرض مع الإبانة والإفصاح ، وهو على قسمين : الأول : إيجاز قصرٍ يكون بتضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف ، الثاني : إيجاز الحذف كقوله ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾[5] أصله : ولم أكن بغياً ، ودواعي الإيجاز كثيرة منها : الاختصار – تسهيل الحفظ – ضيق المقام – تحصيل المعني الكثير باللفظ القليل ... الخ .

ويستحسن الإيجاز في الاستعطاف والاعتذار والعتاب والوعد والوعيد وغير ذلك[6].

وهذا العهد إلى آدم –عليه السلام– الذي أجمله هنا بيَّنه في غير هذا الموضع ، كقوله ﴿ وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[7] فقوله وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ " هو عهده إلى آدم المذكور هنا[8].

---

(١) طه ٨٦

(٢) طه ٩٦

(٣) طه ١٢٠

(٤) التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣١٨

(٥) مريم ٢٠

(٦) جواهر البلاغة ص ١٨٧

(٧) البقرة ٣٥

(٨) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للعلامة الشنقيطي جـ ٤ ص ٦٤٦ ط دار عالم الفوائد .

بلاغة الإيجاز في الآية : قد تكون الحكمة من ذكر العهد موجزاً هنا : هي أنَّ التفصيل والبسط جاء في آيات أخرى كان المقام يستدعي البسط فيها لأنها الأساس في سياق الآيات ، أمّا هنا فقد ذُكرت القصة موجزة اكتفاءً بموضع الشاهد منها وهو التحذير من طاعة الشيطان ، كما إنَّ ذلك فيه إحالة للقارئ لموضع البسط حتى يكون على دراية بتكامل القصص القرآني واتصال بعضه ببعض .

٢ــ المجاز: في قوله في قوله " فَنَسِيَ " :

حيث ذكر النسيان والمراد الترك وهو مجاز مرسل بعلاقة السببية ذلك أن الترك سببه النسيان فأُقيم السبب مقام المسبب .

فالمراد بالنسيان هنا الترك لأنه ترك ما وُصى به من الاحتراس عن الشجرة وأكل ثمرها. أ.هـ[1] .

وقد ذكر الإمام الشنقيطي – رحمه الله – أقوال العلماء في المراد بالنسيان هنا على قولين الأول : أنه الترك ، والثاني : أنه السهو الذي ضد الذكر ثم رجَّح أن آدم لم يكن معذوراً بالنسيان بناءً على قوله " وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى "[2][3].

بلاغة التعبير بالنسيان في الآية :

إنَّ التعبير بالنسيان في الآية الكريمة فيه إظهار لعذر آدم –عليه السلام– فإنه عصى بدلالة قوله " وَعَصَى " لكن لما كانت المعصية بسبب غواية الشيطان كان تركه لأمر الله –جل جلاله– مبنياً على شبهة عذر فقَبِلَ الله – سبحانه وتعالى– توبته لذلك حيث لم يكن ناوياً ولا مصرَّاً على العصيان .

٣ــ الكناية : في قوله " وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ":

فأُقيم عدم الوجدان مقام عدم الوجود .

---

(١) البحر المحيط جـ ٦ ص ٢٦٢

(٢) طه ١٢١

(٣) أضواء البيان للشنقيطي جـ ٤ ص ٦٤٧

يقول الراغب – رحمه الله – : الوجود أضرب : وجود بإحدى الحواس الخمس ، نحو : وجدت زيداً ، ووجدت طعمه ، ووجدت صوته ، ووجدت خشونته ، ووجود بقوة الشهوة نحو : وجدت الشبع ، ووجود بقوة الغضب كوجود الحزن والسخط ، ووجود بالعقل أو بواسطة العقل كمعرفة الله تعالى ، ومعرفة النبوة ، وما ينسب إلى الله تعالى من الوجود فبمعنى العلم المجرد ، إذ كان الله منزها عن الوصف بالجوارح والآلات ، نحو " وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ "[1] .

يقول الطاهر – رحمه الله – : استعمل نفي وجدان العزم عند آدم في معنى عدم وجود العزم من صفته فيما عُهِدَ إليه ، تمثيلاً لحال طلب حصوله عنده بحال الباحث على عزمه فلم يجده عنده بعد البحث[2].

وبلاغة الكناية هنا : تبرئة آدم –عليه السلام– من تعمد العصيان بالمبالغة في نفي وجوده بذكر حالة تشبه حال الباحث عن شيء ولم يجده لكونه غير موجودٍ أصلاً .

---

(١) الأعراف ١٠٢ ، وينظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب مادة " وجد " ص ٥٤٨

(٢) التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣١٩

المبحث السادس

الأساليب البلاغية في قول الله – ﷻ– ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴾[1]

من الأساليب البلاغية في الآية الكريمة :

١ــ مناسبة الآية لما سبقها : ذكر في الآية السابقة نسيان آدم –عليه السلام – لما عهد الله –ﷻ – به إليه من عدم الأكل من الشجرة ، ولَّما كان الأمر مستغرباً أن يقع فيه آدم –عليه السلام – وكان العقل يتوق لمعرفة سبب هذا الترك جاءت هذه الآية وما يليها من آيات مبيِّنةً لتسلسل الأحداث من أمر الله – ﷻ– للملآئكة بالسجود له وما ترتب عليه من عصيان إبليس لأمر الله – ﷻ– وغوايته لآدم –عليه السلام – حتى يعصي الله –ﷻ – ويأكل من الشجرة التي نهاه الله – ﷻ– عن الأكل منها فقال ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ .....﴾ وتوالى ذكر بقية القصة .

٢ــ الإيجاز بالحذف : في قوله " وَإِذْ " :

فـ " إِذْ " هنا اسم ظرفي لما مضى من الزمان في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره : اذكر ، وذلك كقول الله– ﷻ– ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ ﴾[2] فـ " إِذْ " في هذه الآية ونحوها مفعول به ، ومن لم ير ذلك جعل المفعول محذوفاً ، و" إِذْ " ظرفٌ عاملُهُ ذلك المحذوف ، والتقدير: واذكروا نعمة الله عليكم إذ ، أو : واذكروا حالكم إذ ، ونحو ذلك ، والتقدير هنا : واذكر إذ قلنا[3] .

يقول أبو السعود – رحمه الله – : " إِذْ " منصوبٌ على المفعولية بمضمرٍ خوطبَ به النبيُّ – عليه الصلاة والسلام – أي : واذكر وقتَ قولِنا لهم ، وتعليقُ الذكر بالوقت مع أن المقصودَ تذكيرُ ما وقع فيه من الحوادث لما مرَّ مراراً من المبالغة في إيجاب ذكرِها ، فإن الوقتَ

---

(١) طه ١١٦

(٢) الأنفال ٢٦

(٣) الجنى الداني ص ١٨٥ ، دليل البلاغة القرآنية للدكتور محمد سعد الدبل جـ ١ ص ٥٣

مشتملٌ على تفاصيل الأمورِ الواقعةِ فيه ، فالأمرُ بذكره أمرٌ بذكر تفاصيلِ ما وقع فيه بالطريق البرهانيِّ ، ولأن الوقتَ مشتملٌ على أعيان الحوادثِ فإذا ذُكِرَ صارت الحوادثُ كأنها موجودةٌ في ذهن المخاطب بوجود ذاتها العينية ، أي اذكر ما وقع في ذلك الوقتِ منا ومنه حتى يتبين لك نسيانُه وفقدانُ عزمِه[1] .

٣ــ التعريف بالعلمية : في قوله " إبْلِيسَ " :

اسم إبليس – لعنه الله – عَلَمٌ على الشيطان الذي هو أصل الشياطين وكبيرهم وقد عُبِّرَ عنه في القرآن بالشيطان تارة وبالغَرور تارة ، أما هنا فقد عُبِّرَ عنه باسمه العَلَم لما لهذا الاسم من مناسبة للمقام .

فأصل كلمة إبليس من : الإبلاس : بمعنى الحزن المعترض من شدة البأس ، يقال: أبلس ومنه اشتق إبليس فيما قيل . قال الله – ﷻ– ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾[2] ، ولما كان المبلس كثيراً ما يلزم السكوت وينسى ما يعنيه قيل : أبلس فلان : إذا سكت وإذا انقطعت حجته .

وأَبْلَسَ من رحمة اللَّه أَي يَئِسَ ونَدِمَ ومنه سمي إبليس ، وإبليس لعنة اللَّه مشتق منه لأَنه أُبْلِسَ من رحمة اللَّه أَي أُوِيسَ ، والمُبْلِسُ اليائسُ ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون عنده جواب قد أَبْلَسَ[3].

بلاغة التعبير بالاسم العَلَم هنا : التعريف بالعلمية عموماً له أغراض منها في هذا المقام : إرادة الإشعار بإهانة المتحدَث عنه ، ويكون هذا في الأعلام التي تشعر بذمّ ، أو اشتهرت بصفاتها الذميمة[4] .

واختير هنا التعبير عنه باسمه العَلَم لما لاشتقاق هذا الاسم من مناسبة هنا : فإذا كان إبليس من اليأس من رحمة الله –ﷻ– فهذا تحذير لمن اتبعه بأنه سيهوي في نفس مصيره من

---

(١) إرشاد العقل السليم لأبس السعود جـ ٣ ص ٦٧١

(٢) الروم ١٢

(٣) ينظر : مادة "بلس" في لسان العرب جـ ٦ ص ٢٩، معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص ٥٨

(٤) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني جـ ١ ص ٤١٥

اليأس من رحمه الله ﷻ ، وإن كان مشتقاً من الحزن وانقطاع الحجة فهو تنبيه على من يخالف أمر الله – ﷻ– ويتبع إبليس بأنه لا حجة له عند الله –ﷻ – بعد أن حذره من اتباع الشيطان الذي انقطعت به الحجة عند الله ﷻ .

٤ــ الإيجاز بالحذف : في قوله " أَبَى " :

وقد ذكر السادة العلماء احتمالين في المحذوف هنا : فمنهم من قال إن الحذف سابق على " أَبَى " وهو السؤال عن علة عدم السجود فجاء الجواب بـ " أَبَى " فيقول صاحب الدر المصون : قوله " أَبَى " : جملة مستأنفةٌ لأنها جوابُ سؤالٍ مقدرٍ ، أي : ما منعه من السجود ؟ فأُجيب بأنه أبى واستكبر ، ومفعولُ الإباءِ يجوز أنْ يكونَ مُراداً وقد صَرَّح به في الآيةِ الأخرى في قولِه ﴿ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾[1] ، ويجوز أَنْ لا يُرادَ البتةَ ، وأنَّ المعنى : إنه مِنْ أهلِ الإباءِ والعصيانِ ، من غيرِ نظرٍ إلى متعلَّقِ الإباء ما هو ؟[2] انتهى بتصرف يسير .

ومنهم من قال إنَّ المحذوف هو متعلق " أَبَى " فيقول أبو حيان – رحمه الله – : " أَبَى " جملة مستأنفة مبينة أن امتناعه من السجود إنما كان عن إباء منه وامتناع ، والظاهر حذف متعلق " أَبَى " وأنه يقدر هنا ما صرح به في الآية الأخرى ﴿ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ [3][4] أ.هـ .

وبلاغة الحذف هنا : من باب الاستغناء بما فُهِم من أول الآية في استثناء إبليس من الامتثال للأمر .

---

(١) الحجر ٣١

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي جـ ٨ ص ١١٢ ط دار القلم – دمشق .

(٣) الحجر ٣١

(٤) البحر المحيط جـ ٦ ص ٢٦٣

المبحث السابع

الأساليب البلاغية في قول الله – ﷻ– ﴿ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾[1]

اشتملت الآية على الكثير من الأساليب البلاغية منها :

١ــ مناسبة الآية لما سبقها : لما ذكر الله –ﷻ – في الآية السابقة أمره لإبليس بالسجود لآدم ومعصيته لأمر الله – ﷻ– وكان هذا مقدمة لذكر عداوته لآدم –عليه السلام – ذكر الله –ﷻ – في هذه الآية تحذيره لآدم من مكر إبليس به وبزوجه وعاقبة استماعه له وطاعته فيما سيدعوه إليه من معصية الله – ﷻ– وأنه لو أطاعه فسيكون سبب شقائه .

٢ــ النداء : في قوله " يَا آدَمُ " :

والنداء نوع من أنواع الإنشاء الطلبي وهو : طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كل حرف منها مناب الفعل " أدعو".

وله حروف تستعمل على قسمين : الأول : ما ينادَى به القريب وهما حرفان : أي والهمزة الثاني : ما ينادَى به البعيد وله ستة أحرف هي : يا – أيا – هيا – آ –آي – وا .

وقد يتزل البعيد منزلة القريب ، وعندئذٍ ينادي بالهمزة وأي ، إشارة إلى قربه من القلب وحضوره في الذهن وأنه لا يغيب عن البال ، وقد يتزل القريب منزلة البعيد فينادَي بغير الهمزة وأي إشارةً إلى علو مرتبته أو انحطاط منزلته أو غفلته وشرود ذهنه ، كما أن صيغ النداء قد تخرج عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى تُستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحول كالإغراء والتعجب والتحسر والاستغاثة والزجر والتعجب وغير ذلك[2] .

---

(١) طه ١١٧

(٢) ينظر : المطول شرح مفتاح تلخيص العلوم للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ص ٤٣٠ ط دار الكتب العلمية – بيروت ، المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم للدكتور عبد الفتاح لاشين ص ١٣٨ وما بعدها ط دار الفكر العربي ، علم المعاني للدكتور عبد العزيز عتيق ص ٩٢ ط دار الآفاق العربية طبعة أولى ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م ، النداء في اللغة والقرآن للدكتور أحمد محمد فارس ص ١٦٢ ط دار الفكر اللبناني .

بلاغة النداء في الآية : جاء النداء في الآية الكريمة بـــ " يَا آدَمُ " وكما ذكر العلماء أن النداء بـــ " يا " يكون للبعيد ، وإذا كان للقريب فهو لأغراض أخرى ، والمناسب منها للمقام : أن يكون النداء بسبب غفلة آدم –عليه السلام– وشرود ذهنه عن ذلك العدو المتربص به والحريص على إخراجه من الجنة حتى يحذره أشد الحذر ، والله أعلم .

٣ـــ التوكيد : في قوله " إِنَّ هَذَا " :

التوكيد في اللّغة : أَصْلُهُ شدُّ السَّرْجِ على ظهر الدابَّةِ بالسُّيُور حتّى لا يسقط ، وتسمّى هذه السُّيُور تواكيد وتآكيد ، ثم استعمل التوكيد في توثيق العهود .

ومن هذا المعنى اللُّغوي أُخِذَ لِتَقْوِيةِ صِدْقِ الكلام الخبريّ بما يؤكّده من ألفاظٍ اسُمُ " التوكيد" .

والغرضُ من توكيد المتكلّم كلامَهُ إعْلاَمُ المخاطَبِ بأَنّه يقول كلامه جازماً ، قاصداً لما يَدُلُّ عليه كلامُهُ مُتَثَبِّتاً مِنْه لا يقولُه عن تَوَهُّمٍ أوْ تَضْلِيلٍ أو اختراعٍ أو نحو ذلك .

ومن أدوات التوكيد "إنَّ" و " أنَّ" بكسر الهمزة وفتحها[1] .

بلاغة التوكيد هنا : تثبيت الأمر في ذهن المخاطب حتى يلتزم بأمر الله –ﷻ– بعدم طاعة الشيطان ، فجاء التوكيد هنا لتنبيه المخاطب حتى يهتم بالأمر .

٤ـــ التعريف باسم الإشارة : " هَذَا " :

المعرفة اسم يَدُلُّ على مُعَيَّن مُمَيَّزٍ عن سائر الأفراد أو الجموع المشاركة له في الصفات العامة المشتركة ، مثل " زيد" علماً لشخص معين ، و"هؤلاء" اسماً يُشار به إلى جماعة معينة .

والتعريف على سبعة أقسام هي : الضمير – العلم – الإشارة – اسم الموصـــول – المحلّى بأل – المضاف إلى غير الضمير – النكرة المقصودة في النداء[2] .

والإشارة بـــ " هذا " موضوعة للقريب ، وهذا القرب قد يكون دآلاً على التعظيم أو التحقير حسب السياق .

---

(١) البلاغة العربية فنونها وأفنانها جـــ ١ ص ١٨٥ وما بعدها

(٢) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني جـــ ١ ص ٣٧٩ وما بعدها ط دار القلم .

فيُستخدم القُرب والبُعد الحسيان اللذان وُضعت لهما أسماء الإشارة لإفادة معاني التعظيم والتحقير ، وذلك بتنزيل القرب والبعد المعنوي منزلة القرب أو البعد الحسي الذي وُضعت له أسماء الإشارة ، ويتجلى لنا ذلك في قوله ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾[1] و﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[2] فقد أُشير إلى النبي – ﷺ– باسم الإشارة الموضوع للقريب " هذا " تحقيراً له – في اعتقادهم – وإعلاناً عن رفضهم رسالته لقربه وانحطاط منزلته ، وأُشير إلى القرآن باسم الإشارة الموضوع للقريب " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ " تعظيماً له ودلالة على قرب نفعه لمن أراد أن ينتفع[3] .

ولاستخدام اسم الإشارة مزايا أساسية منها الإيجاز وتفادي التكرار اكتفاءً بدلالة اسم الإشارة ، وذلك متوفر هنا حيث مرَّ ذِكر إبليس وعداوته ففُهِمَ أن الحديث هنا عن إبليس ، كذلك من دواعي استخدام اسم الإشارة : إرادة إهانة المتَحَدَّث عنه والتعبير عن انحطاط منزلته[4] .

فقوله " إِنَّ هَذَا " إشارة إلى الشيطان إشارة يراد منها التحقير[5] .

٥ــ الالتفات : في قوله " فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى " :

وهو من نوع الالتفات العددي حيث كان الكلام عن الإخراج موجهاً للاثنين " فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا " ثم تحول للمفرد في الحديث عن نتيجة هذا الإخراج " فَتَشْقَى "

فإسناد فعل الشقاء إلى الضمير المفرد العائد على آدم –عليه السلام – عدولٌ عن إسناده إلى ضمير التثنية الذي يقتضيه ظاهر السياق " لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا " ، فهو التفات من التثنية للإفراد[6] .

---

(١) الفرقان ٤١

(٢) الإسراء ٩

(٣) ينظر : بلاغة النظم القرآني ص ٣٨

(٤) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني جـ ١ ص ٤١٨

(٥) التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٢٠

(١) ينظر : البديع تأصيل وتجديد ص ٤٩ ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية للدكتور حسن طبل ص ٩٨ ط دار الفكر العربي

حكمة الالتفات في الآية الكريمة :

ذكر العلماء وجوهاً لهذا الالتفات : منها : أنَّ إسناد ترتب الشقاء إلى آدم خاصة دون زوجه إيجازاً ، لأن في شقاء أحد الزوجين شقاء الآخر لتلازمهما في الكون ، مع الإيماء إلى أن شقاء الذكر أصل شقاء المرأة ، مع ما في ذلك من رعاية الفاصلة .

ومنها : أنَّ إسناد الشقاء إليه وحده بعد اشتراكه مع زوجه في الإخراج من حيث كان هو المخاطب أولاً والمقصود بالكلام .

ومنها : أن المراد بالشقاء:التعبُ في طلب القوت وذلك راجع إلى الرجل[1].

(١) ينظر : التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٢١ ، البحر المحيط جـ ٦ ص ٢٦٣

المبحث الثامن

الأساليب البلاغية في قول الله – ﷻ– ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۞ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾[1]

من الأساليب البلاغية في الآية الكريمة :

١ــ مناسبة الآيات لما سبق : لما ذكر الله –ﷻ – في الآية السابقة تحذيره لآدم –عليه السلام – من الانسياق وراء الشيطان وحذره أنه لو أطاع إبليس فسيخرج من الجنة ويشقى ، ولَّما كان الشقاء بالنسبة لآدم –عليه السلام – غير معروفٍ لعدم عهده به بيَّن الله – ﷻ– له هنا أنواعاً من الشقاء التي لا عهد له بها في الجنة فقال له " إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى..... " فلما امتنَّ الله – ﷻ– عليه بهذه النعم في الجنة كان ذلك بياناً لأنَّ الشقاء الذي سيلاقيه لو خرج منها عكس ذلك ، والله أعلم .

٢ــ التوكيد : في قوله " إِنَّ لَكَ " و " وَأَنَّكَ " :

مرَّ الكلام عن التوكيد في قوله " إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ "[2] .

قد تقتضي حالة المخاطب الخفية غير الظاهرة تأكيد الخبر له ، مع أن توجيه الخبر له كان بصورة ابتدائية لا تستدعي بحسب الظاهر تأكيد الخبر له ، فحين نؤكد له الخبر ملاحظين حالته الخفية فإنا نوجه له الخبر مؤكداً على خلاف مقتضى الظاهر ، وهذا يسمى: " إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر .

ومن صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر : أن يترل خالي الذهن مترلة المتردد السائل الذي يطلب تأكيد الخبر له ، وذلك إذا شعر من مقدمات الكلام بما يشير إلى مضمون الخبر ، فاستشرفت نفسه وتطلعت تطلع المستغرب المتردد في قبول الخبر ، أو الطالب لما يؤكده له[3] .

---

(١) طه ١١٨ – ١١٩

(٢) طه ١١٧

(٣) البلاغة العربية فنونها وأفنانها جـ ١ ص ١٨٢ ، جواهر البلاغة ص ٥٥

وبلاغة التوكيد هنا : ليس لأن آدم –عليه السلام – كان شآكاً في وعد الله –جل جلاله – له وإنما كان هذا من قبيل تقوية يقينه بأنَّ هذه النِّعم دائمة له في الجنة لبعث الطمأنينة في نفسه في مقام التحذير من وسوسة إبليس له ، ذلك أن النفس عندما تُخوَّف من أمرٍ مع بيان ما يترتب عليه من عواقب تكون أقرب للانقياد وأشد حرصاً على الأخذ بما خوطبت به ، بخلاف ما لو خلا التحذير بيان هذه العواقب ، والله أعلم .

١ــ النفي : في قوله : " أَلَّا تَجُوعَ " " وَلَا تَعْرَى " " لَا تَظْمَأُ " " وَلَا تَضْحَى "

وهو من باب التقييد بالنفي ويكون لسلب النسبة على وجه مخصوص مما تفيده أحرف النفي السبعة – وهي : لا ، وما ، ولات ، وإن ، ولن ، ولم ، ولّما ، و" لا " للنفي مطلقاً[١].

بلاغة التعبير بصيغة النفي : لما كان المقام هنا مقام ترغيب في التمسك بالجنة ، وترهيب من الانسياق وراء وسوسة الشيطان ناسب أن تأتي الآية بهذه الصفات المنفية أكثر من إثبات عكسها ، فجاء الترغيب في الجنة بإثبات هذه النِّعم المهيأة له فيها ، وفُهِمَ الترهيب من جهة أن الخروج منها يستلزم الحرمان من هذه النِّعم بلا شكٍ .

يقول الزمخشري – رحمه الله – " وذكرها بلفظ النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظمأ والضحو ، ليطرق سمعه بأسامي أصناف الشقوة التي حذره منها ، حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهةً لها "[٢] أ.هـ .

٢ــ التعليل : في قول الله – تعالى – ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۞ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴾ .

يقول الطاهر – رحمه الله – : " إِنَّ لَكَ..... " تَعْلِيلٌ لِلشَّقَاءِ الْمُتَرَتِّبِ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْجَنَّةِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ ، لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ مُمَتَّعًا فِي الْجَنَّةِ بِرَفَاهِيَةِ الْعَيْشِ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَلْبَسٍ وَمَشْرَبٍ وَاعْتِدَالِ جَوٍّ مُنَاسِبٍ لِلْمِزَاجِ كَانَ الْخُرُوجُ مِنْهَا مُقْتَضِيًا فِقْدَانَ ذَلِكَ[٣] أ.هـ .

---

(١) جواهر البلاغة ص ١٤٧

(٢) الكشاف جـ ٣ ص ٨٩

(٣) التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٢٢

كذلك فإن اجتماعَ أسبابِ الراحة فيها مِمَّا يوجبّ المبالغةَ في الاهتمام بتحصيل مبادئ البقاءِ فيها والجِدّ في الانتهاء عما يؤدّي إلى الخروج عنها[1] .

والتعليل نوع من أنواع الإطناب الذي هو في اللُّغة : يدور حول معنى الإطالة والإكثار والطول والزيادة عن المعتاد ، وفي اصطلاح البلاغيين : كوْنُ الكلام زائداً عمّا يُمْكن أنْ يُؤَدَّى به من المعاني في معتاد الفصحاء لفائدة تُقْصَد ، والإطناب هو : الزيادةُ لفائدة يقتضيها المقام لا لمجرد الزيادة[2] .

والإطناب معروف عند العرب ومن ذلك ما قيل لإياس المزني : ما فيك عيب إلا كثرة الكلام ، فقال : أتسمعون صواباً أم خطأً ؟ فقالوا : لا ، بل صواباً ، فقال : فالزيادة في الخير خير"[3] .

والإطناب نوعان : إطناب بالبسط وإطناب بالزيادة المفيدة ، والتعليل من النوع الثاني .

والتعليل : زيادةٌ في الكلام عن أصل المعنى الذي يُقْصَدُ التعبير عنه لبيان علّته ، أو سببه ، أو الدليل على صحته أو نفعه وفائدته .

وفائدة التعليل الشاملِ لبيان العلّة أو السبب أو الدليل :

١- الإقناع بصحة الكلام ، أو بفائدة العمل بمقتضاه .

٢- توليد الدافع الذاتي للعمل بمقتضاه .

٣- زيادة تقرير مضمون الكلام بذكر علته ، لأنّ النفوس أكثر استعداداً لتقبل الأخبار أو التكاليف المعلّلة المقرونة ببيان أسبابها وأدلتها ، مِمّا لو قُدّمت لها الأخبار أو التكاليف مجرّدة من ذلك.

فيكون تطويل الكلام بالتعليل وبيان الدليل إطناباً حسناً مفيداً ، ذا أثرٍ في نفوس المتلقّين له .

---

(١) إرشاد العقل السليم جـ ٣ ص ٦٧١ ، التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية للدكتور أحمد سعد محمد ص ٣١١ ط مكتبة الآداب

(٢) ينظر : الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ص ٢٨٩ ، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني جـ ٢ ص ٦٥

(٣) البيان القرآني عند الجاحظ للدكتور هاشم محمد هاشم ص ١١١

وغالب ما جاء في القرآن من تعليل قد جاء بمثابة جواب سؤالٍ مقدّر ذهناً غير مذكور في اللّفظ ، فذكر الشيء معللاً أبلغ من ذكره بلا علة[1] .

٣ــ قطع النظير عن النظير : في قوله " تَجُوعَ – تَعْرَى " وقوله " تَظْمَأُ – تَضْحَى "[2].

قطع النظير عن النظير أي الفصل بين الشبيه وشبيهه .

النَّظائِرُ جمع نَظِيرة وهي المِثْلُ والشِّبْهُ في الأَشكال الأَخلاق والأَفعال والأَقوال ، يقال ناظَرْت فلاناً أَي صِرْتُ نظيراً له في المخاطبة وناظَرْتُ فلاناً بفلان أَي جعلته نَظِيراً له[3] .

وعكسه مراعاة النظير وهي : الجمع في العبارة الواحدة بين المعاني التي بينها تناسبٌ وائتلاف ما[4] .

وربما يُتوَهمُ هنا أنَّ الجمع بين " تَجُوعَ " و " تَظْمَأُ " من جهة وبين " تَعْرَى " و " تَضْحَى " من جهة أخرى هو الأليق بالمقام ، حيث يكون الأنسب من حيث مراعاة النظير لوقوع التناسب فيما بينها ، فالجوع والظمأ متعلقان بالبطن ، والعري والضحو متعلقان بظاهر الجسد ، وما حدث هنا هو ما يسميه البلاغيون " قطع النظير عن النظير " ، وهو لا يُستساغ إلا إذا اشتمل على فائدة .

وقد ذُكر في حكمة الجمع بين هذه الأوصاف – مع ما فيها من قطع النظير عن نظيره – أقوال منها :

أــ يقول أبو السعود – رحمه الله – : فصلُ الظمأ عن الجوع في الذكر مع تجانُسهما وتقارنهما في الذكر عادةً وكذا حالُ العُرْي والضَّحْو المتجانسين لتوفية مقامِ الامتنان حقَّه بالإشارة إلى أن نفي كل واحدٍ من تلك الأمور نعمةٌ على حيالها ولو جُمع بين الجوعِ والظمأ لربما تُوهم أن نفيَهما نعمةٌ واحدةٌ وكذا الحال في الجمع بين العُرْي والضَّحْو[5] .

---

(١) البرهان للزركشي جـ ٣ ص ٩١ ، البلاغة العربية للميداني جـ ٢ ص ٩٣ .

(٢) الجدول في إعراب القرآن جـ ٨ ص ٤٣٣

(٣) ينظر : لسان العرب مادة " نظر " جـ ٥ ص ٢١٩

(٤) البلاغة العربية فنونها وأفنانها جـ ٢ ص ٣٨٢

(٥) إرشاد العقل السليم جـ ٣ ص ٦٧٢

ب ــ أنَّ الله – ﷻ– قابل بين الجوع والعري ، والظمأ والضحو ، وإن كان الجوع يقابل العطش ، والعري يقابل الضحو ، لأنَّ الجوع ذلٌّ الباطن ، والعري ذلٌّ الظاهر، والظمأ حر الباطن ، والضحو حرُّ الظاهر ، فنفى عن ساكن الجنة ذلَّ الظاهر والباطن ، وحرَّ الظاهر والباطن[1] .

وقريب منه ما قاله الطاهر بن عاشور – رحمه الله – أنه قرن بين انتفاء الجوع واللباس في قوله " أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى " وقرن بين انتفاء الظمأ وألم الجسم في قوله " لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى " لمناسبة بين الجوع والعري ، في أن الجوع خلو باطن الجسم عما يقيه تأله وذلك هو الطعام ، وأن العري خلو ظاهر الجسم عما يقيه تأله وهو لفح الحر وقرص البرد ، ولمناسبة بين الظمأ وبين حرارة الشمس في أن الأول ألم حرارة الباطن والثاني ألم حرارة الظاهر ، فهذا اقتضى عدم اقتران ذكر الظمأ والجوع ، وعدم اقتران ذكر العري بألم الحَرِّ[2] .

ج ــ قصد تناسب الفواصل ، ولو قرن الظمأ بالجوع فقيل : إن لك أن لا تجوع فيها ولا تظمأ لانتثر سلك رؤوس الآي ، وأحسن به منتظماً[3] .

د ــ يقول القاسمي – رحمه الله – فيه التنبيه على أن الأولين أعني الشبع والكسوة أصلان ، وأن الأخيرين متممان ، فالامتنان على هذا أظهر ، ولذا فرّق بين القرينتين ، فقيل " إِنَّ لَكَ " و " وَأَنَّكَ "[4].

٤ــ الإضمار : في قوله " إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا " أي في الجنة .

وسبب هذا الإضمار أنَّ الأصل الاستغناء بذكره أولاً عن التصريح به ثانياً .

---

(١) حاشية الصاوي على الجلالين جـ ٣ ص ٥٦

(٢) التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٢٢

(٣) ذكره القاسمي في تفسيره محاسن التأويل جـ ١١ ص ٤٢١٥ طبعة دار إحياء الكتب العربي عيسى الحلبي طبعة أولى ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م

(٤) ذكره القاسمي في تفسير جـ ١١ ص ٤٢١٥

يقول الزركشي – رحمه الله – " واعلم أن الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة وأصل المحدَّث عنه كذلك ، والأصل أنه إذا ذكر ثانياً أ يذكر مضمراً للاستغناء عنه بالظاهر السابق "[1] أ.هـ .

بلاغة الإضمار هنا : الإضمار هنا فيه تعظيمُ للجنة وما فيها من النِّعم المذكورة ، فقد جاء التصريح بها أولاً " فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى "[2] حيث كان المقام مقام حضٍّ على الحرص عليها وتحذير من فعل ما يُخْرجه منها فالتصريح بذكرها أبلغ في هذا المقام حيث يكون آدم –عليه السلام– مطالباً بالحرص على معلومٍ ، أما هنا فالمقام مقام تعداد ما فيها من نعم وذكرها بالإضمار فيه تفخيمٌ لشأن هذه النعم ، فمع أنها مذكورة لكن كيفيتها لا تحيط بها العقول ولا تدركها الأفهام وذلك كما قال الله –جل جلاله– " فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ "[3] .

---

(١) البرهان للزركشي جـ ٢ ص ٤٨٤

(٢) طه ١١٧

(٣) السجدة ١٧

المبحث التاسع

الأساليب البلاغية في قول الله – ﷻ– ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾[1]

اشتملت الآية على كثير من الأساليب البلاغية منها :

١ــ مناسبة الآية لما قبلها : لما ذكر الله –ﷻ – في الآيات السابقة تحــذيره لآدم –عليه السلام – بقوله ﴿ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ ثم ذكر له بعد ذلك مقومات حياته في الجنة وما فيها من نعيم مقيم له ولزوجه ذكر في هذه الآية وقوعَ ما حذر آدم –عليه السلام – منه بوقوع الوسوسة التي سيترتب على الانسياق لها خــروج آدم –عليه السلام – وزوجه من الجنة فقال " فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ..... "

٢ــ الاستعارة : في قوله " فَوَسْوَسَ "

حيث استعير لفظ الوسوسة الذي هو لصوت الحلي لتزيين الشيطان له .

فقد جاء في بيان معناها : أنَّ الوَسْوَسَة والوَسْواس : الصوت الخفي ، وأصله من الوَسْــواس وهو صوت الحَلْي ، وقد وسْوَس وَسْوَسَة ووِسْواساً بالكسر ، والوَسْوَســة والوِسْــواس : حديث النفس والخَطْرة الرديئة ، يقال وَسوَسَتْ إليه نفسه وَسْوسة ووِسْواساً بكسر الــواو والوَسْواسُ بالفتح الاسم مثل الزِّلْزال والزَّلْزال ، والوَسْواس بالفتح هو الشيطان وكلُّ مــا حدَّثك ، قال الأَعشى :

تَسْمَع للحَلْي وَسْواساً إذا انْصَرفت كما اسْتَعان بِريح عِشْرِقٌ زَجِل[2]

فلما كانت الوسوسة في الأصل صوت الحلي صار استعمالها فيما يلقيه الشيطان للإنسان من قبيل الاستعارة .

١– العطف : في قوله ﴿ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾

---

(١) طه ١٢٠

(٢) ينظر : لسان العرب مادة " وسس" جــ ٦ ص ٢٥٤ ، المفردات للراغب مــادة " وس " ص ٥٥٩ ، ديوان ميمون بن قيس الأعشى ص ٥٥ ط مكتبة الآداب ، شرح دكتور محمد حسين

فقوله " يَا آَدَمُ " عطف بيان ، فالأولى " فَوَسْوَسَ " فيها نوع خفاءٍ فجاءت الثانية تفسيراً وتبييناً للوسوسة الّتي وسوس بها[1] .

بلاغة العطف هنا : كان يمكن أن تأتي الجملة دون أسلوب العطف فيقال : فقال له الشيطان ..... الخ ، لكن افتُتِحت الآية بقوله " فَوَسْوَسَ " إشارة إلى أن هذا الفعل كان لغرض الإيقاع في المعصية حسبما يتبادر للذهن من معنى كلمة الوسوسة التي تدل على الخطاب في خفاءٍ ، فيحصل في نفس القارئ والسامع توقعٌ لغرض هذه الوسوسة قبل العلم بمحتواها ، فيحصل في نفسه شوق لمعرفة ماذا قال الشيطان كي يغوي آدم –عليه السلام– لذا كان الحديث بأسلوب عطف البيان أوقع ، والله أعلم .

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٢٥ ، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة لمحمد بن علي بن محمد الجرجاني ص ١٠٧ ط مكتبة الآداب تحقيق الدكتور عبد القادر حسين طبعة ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني جـ ١ ص ٤٦٤ ، الإيضاح جـ ٣ ص ١١٣

المبحث العاشر

الأساليب البلاغية في قول الله – ﷻ– ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۞ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾[1]

من الأساليب البلاغية في الآية الكريمة :

١ــ مناسبة الآية لما قبلها : لما ذكر الله –ﷻ – في الآيات السابقة تحذيره لآدم –عليه السلام – من غواية إبليس له ولزوجه ثم ذكر ما وسوس به الشيطان له حصل في نفس السامع شوق لمعرفة نتيجة هذه الوسوسة فذكر في هذه الآيات وقوع آدم –عليه السلام – في حبائل الشيطان وأكله من الشجرة التي حرمها الله عليه وذكر تداركه له بالتوبة والمغفرة .

٢ــ المجاز المرسل : في قوله " يَخْصِفَانِ " :

خَصَفَ النعلَ يخْصِفُها خَصْفاً ظاهَرَ بعضها على بعض وخَرَزَها وهي نَعْلٌ خَصِيفٌ وكلُّ ما طُورِقَ بعضُه على بعض فقد خُصِفَ[2] .

فالخصف حقيقته تقوية الطبقة من النعل بطبقة أخرى لتشتد ، ويستعمل مجازا مرسلاً في مطلق التقوية للخرقة والثوب ، ومنه ثوب خصيف أي مخصوف أي غليظ النسج لا يشفُّ عما تحته ، فمعنى يخصفان يضعان على عوراتهما الورق بعضه على بعض كفعل الخاصف ، وضعاً ملزقاً متمكناً ، وهذا هو الظاهر هنا إذ لم يقل يخصفان ورق الجنة[3] .

وفي هذا إظهار أن الأصل في الإنسان الستر بالملابس لذا حرص آدم وحواء على ستر جسديهما بورق الجنة بأن أسرعا بالتستر به .

٣ــ الالتفات من المثنى للمفرد : في قوله " وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى " .

---

(١) طه ١٢١ ، ١٢٢

(٢) لسان العرب مادة " خصف " جـ ٩ ص ٧٢

(٣) التحرير والتنوير سورة الأعراف جـ ٨ ص ٦٤

فبعد أن كان الحديث بصيغة المثنى في قوله " فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ " جاء الكلام هنا بصيغة المفرد .

وبلاغة هذا الالتفات هنا : أن التكليف والخطاب بالنهي كان موجهاً لآدم -عليه السلام- فلما وقعا في المعصية صار وبال الإثم عليه أكثر لذا وُصف بالشقاء لأنه من تحمل وزر الأمر وعاقبته كما مرَّ فكأنه هو فقط من عصى لأنه هو من تحمل عواقب هذه المعصية أكثر .

٣ــ الاعتراض : في قوله " ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ":

فقوله " ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى " معترضة بين جملة " وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ " وجملة " قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا "[1] لأن الاجتباء والتوبة عليه كانا بعد أن عوقب آدم وزوجه بالخروج من الجنة كما في سورة البقرة ، وهو المناسب لترتب الإخراج من الجنة على المعصية دون أن يترتب على التوبة[2].

والاعتراض نوع من الإطناب بالزيادة لفائدة وعُرِّف بأنه : أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متَّصلين في المعنى بجملة معترضة أو أكثر لا محل لها من الإعراب وذلك لأغراض يرمي إليها البليغ[3].

ووجه حُسْن الاعتراض اهْتِبَالُ الْفُرْصَةِ المواتية للإفادة والبيان ، أو التعبير عمّا في النفس ، مع مجيئه مجيء غير المترقَّب ، فيكونُ كالشيء السّارّ الذي يأتي الإنسانَ من حيْثُ لا يحتسب [4] .

وفائدة هذا الاعتراض هنا : التعجيل ببيان مآل آدم إلى صلاح[5] .

٤ــ الإضمار في قوله " رَبُّهُ "

---

(١) طه ١٢٣

(٢) التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٢٧

(٣) جواهر البلاغة ص ١٩٢

(٤) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني جـ ٢ ص ٨١

(٥) التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٢٧

يقول أبو السعود – رحمه الله – : التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره –ﷺ – مزيدُ تشريفٌ له ﷺ[1] .

وزيادة على هذا أنَّ في هذا التعبير بلفظ " رَبُّهُ " إشارة إلى أن الله –ﷻ – هو الذي يربيه ويتعاهده إذا وقع في الزلل ، وفي ذلك من إظهار الرفق بآدم –ﷺ – ما فيه ، والله أعلم .

(١) تفسير أبي السعود جـ ٣ ص ٦٧٤

المبحث الحادي عشر

الأساليب البلاغية في قول الله – ﷻ– ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾[1]

اشتملت الآية على كثير من الأساليب البلاغية منها :

١ــ الاستعارة : في قوله " اهْبِطَا " :

الهبوط : الانحدار على سبيل القهر كهبوط الحجر ، وإذا استعمل في الإنسان الهبوط فعلى سبيل الاستخفاف بخلاف الإنزال ، فإن الإنزال ذكره تعالى في الأشياء التي نبه على شرفها ، كإنزال الملائكة والقرآن والمطر وغير ذلك ، والهبوط ذكر حيث نبه على الغضّ نحو " وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ "[2][3] .

والهبوط قد يكون حسياً وقد يكون معنوياً ، فعلى الثاني يكون مجازاً على طريق الاستعارة[4] .

بلاغة الاستعارة هنا : استعير لفظ الهبوط المستعمل في المحسوسات لمعنى الهبوط من درجة عليا لدرجة سفلى ، وفي هذا التعبير من العتاب الشديد على آدم – ﷻ– ما فيه ، حيث اشتمل اللفظ على الدلالة على سفالة سكنى الدنيا بالنسبة لسكنى الجنة وما فيها من نعيم ، فكان لفظ الهبوط هنا أنسب من لفظ النزول .

٢ــ الاستئناف : في قوله " قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ "

والاستئناف هو "حذف السؤال المقدور" وذلك ضرب من التأليف لطيف الأمر، عجيب المغزى،ولا تجد باباً من أبواب الحذوف أحسن مأخذاً منه،ولا أطرف خبراً[5] .

---

(١) طه ١٢٣

(٢) البقرة ٣٦

(٣) ينظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن لراغب مادة " هبط " ص ٥٣٣

(٤) ينظر : دليل البلاغة القرآنية للدكتور محمد سعد الدبل جـ ١ ص ٥٧

(٥) ينظر: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ص ٢٧٨

ففي الآية استئناف بياني ، لأن الإخبار عن آدم بالعصيان والغواية يثير في نفس السامع سؤالاً عن جزاء ذلك ، كأنه قيل : فماذا أمره تعالى بعد ذلك ؟ فقيل : قال له ولزوجته " اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا "[1] .

٣ــ الالتفات من المثنى للجمع : في قوله " اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ "

وقد اختلف العلماء في وجه الجمع والتثنية في الآية الكريمة : فمنهم من جعل الخطاب لآدم وحواء – عليهما السلام – لأنهما أصل البشر[2] .

ومنهم من حمل الخطاب في قوله " بَعْضُكُمْ " على أنه خطاب لآدم وإبليس ، وخوطبا بضمير الجمع لأنه أريد عداوة نسليهما ، فإنهما أصلان لنوعين : نوع الإنسان ونوع الشيطان[3] .

٤ــ الاستعارة : في قوله " اتَّبَعَ "

فهذه استعارة مكنية حيث شبَّه الهدى بطريق يتبعه الإنسان[4] .

فهنا أنزل الهدى الذي هو شيء معنوي منزلة المحسوس كالطريق الذي يتبعه الإنسان في سيره وذلك من باب تصويره بمنزلة المحسوس الذي لا يخفى على أحد ، فطريق الله – ﷻ– واضح بيِّن لا يلتبس على أحد .

٥ــ وضع الظاهر موضع المضمر : في قوله " هُدَايَ "

يقول أبو السعود – رحمه الله – : ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله " هُدَايَ " مع الإضافة إلى ضميره تعالى ، لتشريفه والمبالغة في إيجاب اتباعه[5] .

وقيل أيضاً في حكمة اختيار المظهر على المضمر : أن المضمر يشمل ما جاءهم عن طريق الشرع والعقل والدليل [6] ، هذا بخلاف المظهر المسند لله – ﷻ– الذي يدل على ما جاء عن طريق الشرع فقط وهو المقصود هنا .

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٢٨ ، إرشاد العقل السليم لأبي السعود جـ ٣ ص ٦٧٤

(٢) ينظر: الكشاف جـ ٣ ص ٩٢ ، أضواء البيان للشنقيطي جـ ٤ ص ٦٧٢

(٣) ينظر: التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٢٨

(٤) ينظر: دليل البلاغة القرآنية للدكتور محمد سعد الدبل جـ ١ ص ٦٢

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم جـ ٣ ص ٦٧٤

(٦) ينظر: دليل البلاغة القرآنية للدكتور محمد سعد الدبل جـ ١ ص ٦١

المبحث الثاني عشر

الأساليب البلاغية في قول الله– ﷻ – ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۞ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۞ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾[1]

من الأساليب البلاغية في الآية الكريمة :

١ــ مناسبة الآيات لما سبق : بعد أن ذكر الله –ﷻ – قصة آدم –عليه السلام – وما فيها من تركه لعهد الله –ﷻ – له نسياناً دون عزم على المعصية ذكر في هذه الآيات حال من يعرض عن طاعة الله – ﷻ– عامداً غير ناسٍ وما سيلقاه من معاملة يوم القيامة من جنس عمله حتى لا يظنَّ أحدٌ أن كل من يترك طاعة الله – ﷻ– على حدٍّ سواء .

٢ــ التقديم : حيث قدم المسند إليه " فَإِنَّ لَهُ " على المسند " مَعِيشَةً ضَنْكًا "

ومرتبة المُسند إليه التقديم ، وذلك لأنَّ مدلوله هو الذي يخطر أولاً في الذهن لأنه المحكوم عليه ، والمحكوم عليه سابق للحكم طبعاً فاستحق التقديم وضعاً ، ولتقديمه دواعٍ شتَّى :

أــ منها تعجيل المسرَّة نحو: العفو عنك صدر به الأمر.

ب ــ ومنها تعجيلُ المساءة نحو : القصاصُ حكم به القاضي .

ج ــ ومنها التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدِّم مشعراً بغرابة .

د ــ ومنها التَّلذُّذ نحو : ليلى وصلت – وسلمى هجرت

هـ ــ ومنها التَّبرك نحو : اسمُ الله اهتديتُ به ، إلى غير ذلك[2].

وقد كثر في التنزيل تقديم المسند إليه ، وتدبر قول الله – ﷻ– ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾[3] فتأمل قوله " هُوَ اجْتَبَاكُمْ " وقوله " هُوَ سَمَّاكُمُ " ولم يقل اجتباكم

---

(١) طه ١٢٤ – ١٢٥ – ١٢٦

(٢) ينظر : جواهر البلاغة ص ١٢٠

(٣) الحج ٧٨

وسماكم ، وفي هذا من تقوية الحكم ما لا يخفى ، وهو يفيد التخصيص كذلك ، لأن الله هو الذي اجتبى هذه الأمة ولأن أبانا – ﷺ– هو الذي سمانا مسلمين "[1] أ.هـ

بلاغة التقديم هنا : إذا كان المسند إليه له الحق في التقديم ، فليس معنى ذلك أن تقديمه يكون خالياً من الفائدة بل لا بد وأن يكون له غرضٌ بليغ ، فنجد هنا أنَّ تقديم المسند إليه هنا غرضه القصر ، حيث أفاد ذلك التقديم قصر تلك المعيشة الضنك علي المعرضين عن ذكر الله –ﷻ – دون غيرهم ، وفي ذلك من الترويع لهم ما فيه .

يقول القزويني – رحمه الله – " والتخصيص في غالب الأمر لازم للتقديم ، ولذلك يقال في قوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[2] معناه نخصك بالعبادة لا نعبد غيرك ونخصك بالاستعانة لا نستعين غيرك ، وفي قوله تعالى ﴿ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾[3] معناه لجميع الناس من العرب والعجم "[4] انتهى بتصرف

٣ــ التنكير : في قوله " مَعِيشَةً "

وغرض التنكير هنا التحقير والتقليل لهذه المعيشة التي توعد الله –ﷻ – بها هؤلاء المعرضين عن ذكره .

فمن الأغراض البلاغية المعروفة لاختيار التنكير إرادة التحضير والتصغير ، وتدلُّ القرائن على ذلك ، كقول الله – ﷻ– في حكاية قول مؤمن آل فرعون ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾[5].

فقد جاء في هذا النص تنكير " مَتَاعٌ " للتحقير والتصغير ، أي : متاعٌ حقير صغير سريع الزوال ، وفيه معنى التقليل أيضاً[6] .

---

(١) ينظر : البلاغة العربية فنونها وأفنانها علم المعاني للدكتور فضل حسن عباس ص ٢٢٩

(٢) الفاتحة ٥

(٣) النساء ٧٩

(٤) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة جـ ٢ ص ١٦٤

(٥) غافر ٣٩

(٦) ينظر : البلاغة العربية لعبد الرحمن الميداني ، باب دواعي اختيار النكرة ، جـ ١ ص ٤٠٥

٤ــ المجاز : في قوله : " ضَنْكًا " .

الضَّنْكُ الضِّيقُ من كل شيء الذكر والأُنثى فيه سواء ، ومعيشة ضَنْكٌ ضَيِّقة ، وكل عيش من غيرِ حلٍّ ضَنْكٌ وإن كان واسعاً ، يقال : مكان ضنك ، أي ضيق ، ويستعمل مجازاً في عسر الأمور في الحياة ، قال عنترة :

إن يُلْحَقوا أكْرُرْ وإن يُسْتَلْحَمُوا أَشْدُدْ وإن نزلوا بضَنكٍ أنزل[1]

وحال الضنك هنا لازم لمن يعرض عن ذكر الله –ﷻ– ولا يلزم منه أن يكون في فقر أو مرضٍ ، فقد يكون في سَعَةٍ من العيش ويكون في ضنكٍ معنوي ، يقول الإمام البقاعي – رحمه الله – " ضَنْكًا " أي ذات ضنك أي ضيق ، لكونه على ضلال وإن رأى أن حاله على غير ذلٍّ في السعة والراحة ، فإن ضلاله لا بد أن يرديه ، فهو ضنك لكونه سبباً للضيق وآئلاً إليه[2] .

٥ــ الإضافة : في قوله " آيَاتُنَا "

فقد أضاف الله –ﷻ– الآيات المكفور بها إليه من قبيل التعظيم لها والتشنيع على من كفر بها مع علمه بأنها من آيات الله ﷻ .

٦ــ المشاكلة : في قوله " قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى "

والمشاكلة : هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته كقوله تعالى " تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ "[3] المراد : ولا أعلم ما عندك وعبّر بالنفس للمشاكلة ، ونحو قوله تعالى " نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ "[4] أي أهملهم ، ذكر الإهمال هنا بلفظ النسيان لوقوعه في صحبته ، ومن ذلك ما حُكي عن أبي الرقمع : أن أصحاباً له أرسلوا يدعونه إلى

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٣١ ، لسان العرب مادة " ضنك " جـ ١٠ ص ٤٦٢ ، ديوان عنترة من قصيدة بعنوان طال الثواء ص ٨٨ ، والبيت بلفظ يُلْفوا بدل نزلوا .

(٢) نظم الدرر للبقاعي جـ ١٢ ص ٣٦٢

(٣) المائدة ١١٦

(٤) الحشر ١٩

الصبوح في يوم بارد ويقولون له : ماذا تريد أن نصنع لك طعاما ؟ وكان فقيراً ليس له كسوة تقية البرد فكتب إليهم يقول :

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه * قلت أطبخوا لي جبةً وقميصاً

كأنه قال خِيطوا لي ، فذكره ليشاكل لفظ الطبخ السابق[1]

بلاغة المشاكلة :

للمشاكلة وقع بلاغي مؤثر في نظم الكلام تكسبه جلالة ومهابةً وجمالاً حسب سياق الكلام ، فإذا تدبرنا في قوله –ﷻ– ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ۞ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾[2] و﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾[3] و ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾[4] و﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا ﴾[5] وجدنا أن المشاكلة قد أفادت كمال المبالغة في التحذير والتنفير من ارتكاب السيئات والاستهزاء بالله والمكر به والاعتداء على حرماته ، فجزاء تلك الأفعال لن يكون جزاءً وعقاباً بل سيكون مكراً واعتداءً واستهزاءً من الله وسيئة ، ونلحظ في الآية الأخيرة قوة حثٍّ المؤمنين كي يتصدوا لمن يعتدي على الشهر الحرام وعلى حرمات الله ، فتصديهم له ليس جزاءً وعقاباً بل هو "اعتداء" ، وفي ذلك ما فيه من قوة الحثٍّ للمؤمنين حتى لا تُنتهك حرمات الله وحتى لا يكون هناك مجال للتفكير في الاعتداء عليها وانتهاكها ، وهكذا نجد أنَّ هذا الفن يحقق مزايا ومحاسن نفتقدها عندما نعبر بالألفاظ الحقيقية لتلك المعاني المرادة[6] .

بلاغة المشاكلة في الآية الكريمة :

المشاكلة لون من ألوان البديع ولها أيضاً نصيب من علم البيان من جهة احتواء المشاكلة على شيء من المجاز والاستعارة والكناية .

---

(١) ينظر : جواهر البلاغة ص ٢٩٨

(٢) البقرة ١٤ – ١٥

(٣) آل عمران ٥٤

(٤) الشورى ٤٠

(٥) البقرة ١٩٤

(٦) ينظر : علم البديع لبسيوني عبد الفتاح فيود ص ١٩٤ ، ١٩٥

لذا نجد الطاهر بن عاشور – رحمه الله – يعتبر النسيان في الموضعين من قبيل الكناية أو الاستعارة في الحرمان من حظوظ الرحمة[1].

لكن على الرغم من أن معظم شواهد المشاكلة من قبيل المجاز فإنَّ للمشاكلة دورها في حُسن التعبير وبلاغته ، فإذا كان في قوله ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾[2] مجاز مرسل فإنَّ في وقوع سيئة الثانية في صحبة السيئة الأولى بلاغة وحسناً لا يكونان ولا يتحققان لو كان المجاز بدون هذه الصحبة ، وبهذا نستطيع أن نقول إنَّ المشاكلة قد ساهمت مع المجاز في جمال الأسلوب وفي حُسنه وسمو بلاغته[3] .

فالتعبير بالنسيان في الآية الكريمة في مقابلة نسيانهم لأوامر الله –ﷻ– فيه تقبيح لصنيعهم وتوَّعد لهم بالمعاملة بالمثل ، ولو قوبل فعلهم بعقاب بلفظ آخر لما كان له مثل هذا الوقع من الترهيب والتخويف لهم ، حيث توعدهم بمعاملتهم معاملة الناسي لهم بمعنى الترك والإهمال .

يقول ابن كثير – رحمه الله – " أي : لما أعرضت عن آيات الله ، وعامَلْتها معاملة من لم يذكرها ، بعد بلاغها إليك تناسيتها وأعرضت عنها وأغفلتها ، كذلك نعاملك اليوم معاملة من ينساك[4] أ.هـ

٧ــ الاحتباك : في قوله ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ وفي قوله ﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ .

والاحتباك نوع من البديع وهو : أن يُحْذَفَ من الأوائل ما جاء نظيره أو مقابله في الأواخر ، ويُحْذَفَ من الأواخر ما جاء نظيره أو مقابله في الأوائل .

ومأخذ هذه التسمية من الْحَبْك ، وهو الشدّ والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب فَحَبْكُ الثوب هو سَدُّ ما بين خيوطه من الْفُرَج وشَدُّهُ وإحكامه إحكاماً يمنع عنه الْخَلَل مع الْحُسْنِ والرونق .

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٣٣

(٢) الشورى ٤٠

(٣) ينظر : علم البديع لبسيوني عبد الفتاح فيود ص ١٩٥

(٤) ينظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٥ ص ١٨٩

وبيان أخذ هذه التسمية من حَبْكِ الثوب : أنّ مواضع الحذف من الكلام شُبِّهَتْ بالْفُرَج بين الخيوط ، فلمّا أدْركها المتدبر البصير بصياغة الكلام الماهر بإحكام روابطه وأدْرك مقابلاتها تَنبّه إلى ملء الفُرَج بأمثال مقابلاتها ، كما يفعل الحائك حينما يُجْري حبكاً مُحْكماً في الثوب الذي ينسجه .

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾[1] .

نُلاحظ في هذه الآية حَذْفاً مِنَ الأَوَائل لدلالة ما في الأواخر، وحذْفاً من الأواخِرِ لِدَلاَلَةِ مَا فِي الأوائل، وهذا من بدائع القرآن وإيجازه الرائع .

وتقدير الحذف " قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ " مُؤْمِنَةٌ " تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ " و " فِئَةٌ " أُخْرَى كَافِرَةٌ " تُقَاتِلُ فِي سبيل الطّاغوت { يَرَوْنَهُمْ... } إلى آخره .

فتحقّق "الاحتباك" بدلالة ما في الأوائل على المحذوف من الأواخر ، ودلالة ما في الأواخر على المحذوف من الأوائل[2] .

وسمَّاه الزركشي – رحمه الله – الحذف المقابلي وعرَّفه بأن : يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من واحد منهما مقابلة لدلالة الآخر عليه، كقوله تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴾[3] وجعل تقدير الآية : فإن افتريته فعلى إجرامي وأنتم براء منه ، وعليكم إجرامكم وأنا برئ مما تجرمون ، ثم قال : واعلم أن دلالة السياق قاطعة بهذه المحذوفات[4] انتهى بتصرف .

تقدير الاحتباك في الآية الكريمة محل البحث :

يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله – " ظهر من نظم الآية أن فيها ثلاثة احتباكات ، وأن تقدير الأول : ونحشره يوم القيامة أعمى وننساه ، أي نقصيه من رحمتنا ، وتقدير الثاني والثالث : قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وعميت عنها فكذلك اليوم تنسى وتُحشر أعمى[5] .

---

(١) آل عمران ١٣

(٢) ينظر : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي النوع السادس والخمسون : في الإيجاز ولإطناب جـ ٢ ص ١٣٢ ، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها جـ ٢ ص ٥٤ ، ٥٥

(٣) هود ٣٥

(٤) ينظر : البرهان للزركشي جـ ٣ ص ١٢٩

(١) ينظر : التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٣٢

المبحث الثالث عشر

الأساليب البلاغية في قول الله – ﷻ– ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾[1]

من الأساليب البلاغية التي اشتملت عليها الآية الكريمة :

١ــ مناسبة الآية لما سبقها : لما ذكر الله –ﷻ– عقابه لمن أعرض عن الإيمان به ساق – ﷻ– سنة من سننه التي لا تختلف فقال " وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ ....." أي : ومثل ذلك الجزاء الأليم الذي أنزلناه بهؤلاء المعرضين عن ذكرنا نجازى كل من أسرف في ارتكاب السيئات والموبقات ، وكل من لم يؤمن بآيات ربه بل كذب بها وأعرض عنها[2] .

فجاءت الآية الكريمة لإفادة عموم هذا العقاب لكل من وقع في هذه المعاصي .

٢ــ التذييل : حيث جاءت الآية الكريمة كالتذييل للآية السابقة .

والتذييل نوع من الإطناب المتمم لما سبقه من كلام ، وهو مأخوذ من لفظ الذيل .

والذَّيْل آخر كل شيء وذَيْل الثوب والإزارِ ما جُرَّ منه إذا أُسْبِل، وأَذْيالُ الرِّيح مآخِيرها[3]

يقول الزركشي – رحمه الله – : التذييل مصدر ذيل للمبالغة ، وهي لغة جعل الشئ ذيلاً للآخر واصطلاحاً : " أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول تحقيقاً لدلالة منطوق الأول أو مفهومه ليكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم ويكمل عند من فهمه " .

والتَّذييلُ قسمان : قسمٌ يستقلُّ بمعناه لجريانه مجرى المثل ، وقسمٌ لا يستقل بمعناه لعدم جريانه مجرى المثل .

---

(١) طه ١٢٧

(٢) ينظر : التفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوي جـ ١٠ ص ١١٢

(٣) ينظر : لسان العرب مادة " ذيل " جـ ١١ ص ٢٦٠

كقوله تعالى ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ﴾[1] ثم قال عز من قائل ﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ أي : هل يجازى ذلك الجزاء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور ، فإن جعلنا الجزاء عاماً كان الثاني مفيدا فائدة زائدة [2] .

يقول الطاهر – رحمه الله – : وجملة " وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ ..... " تذييلٌ يجوز أن تكون من حكاية ما يخاطب الله به من يحشر يوم القيامة أعمى ، قصد منها التوبيخ له والتنكيل ، فالواو عاطفة الجملة على التي قبلها ، ويجوز أن تكون تذييلاً للقصة وليست من الخطاب المخاطب به من يحشر يوم القيامة أعمى ، قصد منها موعظة السامعين ليحذروا من أن يصيروا إلى مثل ذلك المصير ، فالواو اعتراضية لأن التذييل اعتراض في آخر الكلام[3] أ.هـ

٣ــ الالتفات من التكلم إلى الغيبة : في قوله ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ﴾[4] .

حيث كان الكلام في بداية الآية الكريمة بصيغة التكلم " وَكَذَلِكَ نَجْزِي " ثم حصل في نهايتها الالتفات إلى الغيبة في قوله " بِآيَاتِ رَبِّهِ " ولم يقل بآياتنا .

وكأن حكمة هذا الالتفات – بخلاف حكمة الالتفات العامة من تنويع الخطاب – هي : أنَّ الله –ﷻ– قال "رَبِّهِ " بصيغة الغيبة تقبيحاً لمن كفر بالآيات ، حيث كفر بآيات من هو ربه ورازقه والمستحق للعبادة دون سواه ، ففي هذه الصيغة بيان لاستحقاق الله –ﷻ– العبادة والإيمان به وتقبيح أمر من يكفر به .

---

(١) سبأ ١٧

(٢) البرهان للزركشي جـ ٣ ص ٦٨ ، الإتقان للسيوطي النوع السادس والخمسون : في الإيجاز والإطناب جـ ٢ ص ١٦٠ ، جواهر البلاغة ص ١٩٣

(٣) التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٣٣

(٤) أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية للدكتور حسن طبل ص ١٩٩ ط دار الفكر العربي .

المبحث الرابع عشر

الأساليب البلاغية في قول الله – ﷻ– ﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴾[1]

من الأساليب البلاغية في الآية الكريمة :

١ــ الاستفهام الإنكاري : في قوله " أَفَلَمْ " حيث جاء الاستفهام مسنداً لله –ﷻ – وهو نوع من المجاز حيث إن الاستفهام في أصله يستلزم جهل المستفهِم بما يستفهم عنه ، وهذا محال قطعاً على الله ﷻ .

لكن هذا الاستفهام كان من قبيل بلاغة القرآن الذي جاء بما عهده القوم من أساليب البلاغة والفصاحة عندهم ، ومن هذه الأساليب : الاستفهام لا لغرض معرفة شيءٍ مجهول وإنما لأغراض أخرى ، كالتقرير والتوبيخ وغيرها من أساليبهم المعروفة عندهم ، كما ذكر السيوطي – رحمه الله – من أنه قد توسعت العرب فأخرجت الاستفهام عن حقيقته لمعان أو أشربته تلك المعاني[2] أ.هـ

وقد أفاض العلماء في بيان حقيقة هذا الاستفهام المسند لله – ﷻ– فيقول الراغب – رحمه الله – : إن قيل : كيف يصح أن يقال السؤال يكون للمعرفة ، ومعلوم أن الله تعالى يسأل عباده نحو ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾[3] ؟ قيل : إن ذلك سؤال لتعريف القوم وتبكيتهم لا لتعريف الله تعالى فإنه علام الغيوب[4] أ.هـ

ويقول الزجاج – رحمه الله – : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾[5] فَلَا يسأل عن ذنْبِه ليستفهم ، قد علم اللَّه – ﷻ– ما سَلَفَ مِنْهُمْ .

---

(١) طه ١٢٨

(٢) ينظر : الإتقان للسيوطي الباب السابع والخمسون : الخبر والإنشاء جـ ٢ ص ١٧١ وما بعدها ، ط دار الكتب العلمية.

(٣) المائدة١١٦

(٤) ينظر : معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني مادة " سأل" ص ٢٢٤ ط دار الفكر .

(٥) الرحمن ٣٩

وَأَما قوله ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾[1] فيسألون سؤال توبيخ لا سؤال اسْتِفْهَام كما قال : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾[2] وإنما تسأل لتوبيخ مَنْ قَتَلَهَا[3].

ويقول الزركشي – رحمه الله – : إن الرب تعالى لا يستفهم خلقَه عن شئ وإنما يستفهمهم ليقررهم ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشئ فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن وهو في كلام البشر مختلف .

وقد يخرج الاستفهام عن حقيقته بان يقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام عليه[4] أ.هـ

بلاغة الاستفهام في الآية الكريمة :

جاء الاستفهام هنا في قوله " أَفَلَمْ " إنكارياً تعجيباً من حال غفلة المخاطبين المشركين عما حلَّ بالأمم المماثلة لهم في الإشراك والإعراض عن كتب الله وآيات الرسل[5] .

فأسلوب الاستفهام فيه تسفيه لعقولهم لوجود آثار الأمم الماضية مع عدم اتعاظهم بما أوقعوا أنفسهم فيه من الهلاك .

١– التعريض : في قوله " يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ "

فقد تحدثت الآية الكريمة هنا عن عقاب الله –ﷻ– للسابقين من الأمم التي يراها أهل مكة في طريق أسفارهم تعريضاً وتخويفاً لهم من الوقوع في نفس مصيرهم .

يقول الجرجاني – رحمه الله – عن أسلوب التعريض وقيمته البلاغية : هذا فنٌ من القول دقيقُ المسلم لطيف المأخذ وهو أنَّا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة بأن يذهبوا بها مذهب

---

(١) الصافات ٢٤

(٢) التكوير ٨ ، ٩

(٣) ينظر : معاني القرآن للزجاج جـ ٤ ص ٢٣

(٤) ينظر : البرهان للزركشي جـ ٢ ص ٣٢٦ ، الإتقان للسيوطي النوع السابع والخمسون : في الخبر والإنشاء جـ ٢ ص ١٧١ وما بعدها

(٥) ينظر : التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٣٤

الكناية والتعريض ، كذلك يذهبون في إثبات الصفة هذا المذهب ، وإذا فعلوا ذلك بَـدَتْ هناك محاسن تملأ الطرف ، ودقائقُ تُعجزُ الوصف ، ورأيتَ هناك شعراً شـاعراً ، وسـحراً ساحراً ، وبلاغة لا يكمل لها إلا الشاعر المُفْلِق ، والخطيب المِصْقَعُ[1] ، وكمـا أن الصـفة إذا لم تأتك مصرحاً بذكرها ، مكشوفاً عن وجهها ، ولكن مدلولاً بغيرهـا ، كـان ذلـك أفخم لشأنها وألطف لمكانها ، كذلك إثباتك الصـفة للشـيء تثبتـها لـه إذا لم تُلْقِـه إلى السامع صريحاً ، وجئت إليه من جانب التعريض والكناية ، والرمز والإشارة ، كـان لـه من الفضل والمزيَّة ، ومن الحسن والرونق ، مـا لا يقـل قليلُـه ، ولا يُجْهَـلُ موضـع الفضيلة فيه[2] أ.هـ

يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله – : فضمائر جمع الغائبين عائدة إلى معروف مـن مقام التعريض بالتحذير والإنذار بقرينة قوله " يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ " فإنه لا يصلح إلا أن يكون حالاً لقوم أحياء يومئذٍ[3] أ.هـ

٢ـ الاستعارة : في قوله " يَهْدِ لَهُمْ " حيث استعار لفظ الهداية المستعمل في المحسوسـات لأمر معنوي .

يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله – : الهداية هنا مستعارة للإرشـاد إلى الأمـور العقلية بتنزيل العقلي منزلة الحسي ، فيؤول معناها إلى معنى التبيين ، ولذلك عـدي فعلـها باللام كما في قوله تعالى " أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا "[4][5] .

وفي هذا مزيد تقبيح لهم ببيان أنهم لم يعتبروا بما يشاهدون ولم يهتدوا بما إليه ينظرون في غدُّوهم ورواحهم .

٣ـ التعليل والتعريض : في قوله " إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى "

---

(١) المِصْقَعُ أَي البليغُ الماهِرُ في خطبته . ينظر لسان العرب مادة " صقع " جـ ٨ ص ٢٠٣

(٢) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ص ٣٠٦

(٣) ينظر : التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٣٤

(٤) الأعراف ١٠٠

(٥) ينظر : التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٣٤

والتعليل هنا تعليلٌ للتعجب الوارد في بداية الآية الكريمة يقول الطاهر – رحمه الله – " وجملة " إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى " في موضع التعليل للإنكار والتعجيب من حال غفلتهم عن هلاك تلك القرون ، فحرف التأكيد للاهتمام بالخبر وللإيذان بالتعليل[1] أ.هـ .

وفي الآية أيضاً تعريض بهم وبيان لسفاهة عقولهم في قوله " لِأُولِي النُّهَى " إذ لو كانوا أصحاب عقول تنهاهم لاتعظوا بحال السابقين .

ففي هذا تعريض بالذين لم يهتدوا بتلك الآيات بأنهم لا عقول لهم ، كقوله " إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا "[2][3] .

وبلاغة التعليل والتعريض هنا : أنَّ أصحاب العقول لا بد وأن يتبينوا حال الكافرين من الأمم الماضية وأن يكون ذلك زجراً لهم عن الوقوع في مثل عاقبتهم لا سيما وأنهم يمشون في مساكنهم ويرون سوء عاقبتهم ، لكن الحاصل أنهم لم ينتبهوا لذلك فلا عقول لهم إذن ، فهذا تعجب وتعريض بسفاهتهم لعدم انتباههم مع وصفهم أنفسهم بأنهم أصحاب عقول وأنهم أهدى سبيلاً منه .

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٣٥

(٢) الفرقان ٤٤

(٣) ينظر : التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٣٥

المبحث الخامس عشر

الأساليب البلاغية في قول الله – ﷻ– ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴾[1]

اشتملت الآية على كثير من الأساليب البلاغية منها :

١ــ مناسبة الآية لما سبق : لما هددهم الله –ﷻ– بذكر إهلاك الأمم السابقة ذكر سبب التأخير عنهم ، عاطفاً على ما أرشد إلى تقديره السياقُ ، وهو مثل أن يقال : فلو أراد سبحانه لعجل عذابهم " وَلَوْلَا كَلِمَةٌ " أي عظيمة ماضية نافذة " سَبَقَتْ " أي في الأزل " مِنْ رَبِّكَ الذي عودك بالإحسان بأنه يعامل بالحلم والأناة ، وأنه لا يستأصل مكذبيك ، بل يمد لهم ، ليرد من شاء منهم ويخرج من أصلاب بعضهم من يعبده ، وإنما ذلك إكراماً لك رحمة لأمتك[2] أ.هـ

٢ــ التقديم والتأخير : " وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى " .

فتقدير الآية : ولولا كلمةٌ وأجلٌ مسمى لكان لزاماً[3] .

والتقديم والتأخير – كما ذكر الزركشي – رحمه الله – هو أحد أساليب البلاغة فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم ، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق .

وللتقديم والتأخير أسباب كثيرة منها : عظمة الاهتمام بالمقدَّم كقوله " وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ "[4] ومنها : أن يكون الخاطر ملتفتاً إليه والهمة معقودة به كقوله " وَجَعَلُوا

---

(١) طه ١٢٩

(٢) ينظر : نظم الدرر جـ ١٢ ص ٣٦٥

(٣) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ١١ ص ٢٧٧ ط دار الحديث ، الإتقان للسيوطي النوع السادس والأربعون : في مجمله ومبينه جـ ٢ ص ٤٠ ، معاني القرآن للفراء جـ ٢ ص ١٩٥ ط دار السرور

(٤) التغابن ١٢

لِلَّهِ شُرَكَاءَ "[1] بتقديم المجرور على المفعول الأول لأن الإنكار متوجه إلى الجعل لله لا إلى مطلق الجعل .

ومنها : أن يكون التقديم لإرادة التبكيت والتعجيب من حال المذكور كتقديم المفعول الثاني على الأول في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴾[2] والأصل الجن شركاء ، ومنها : أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب فيقدم لمشاكلة الكلام ولرعاية الفاصلة كقوله ﴿ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[3] بتقديم إياه على تعبدون لمشاكلة رءوس الآي ، وكقوله﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾[4] فإنه لو أُخِّرَ " فِي نَفْسِهِ " عن " مُوسَى " فات تناسب الفواصل لأن قبله ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾[5] وبعده ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى "[6] وكقوله ﴿ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾[7] فإن تأخير الفاعل عن المفعول لمناسبته لما لما بعده[8] إلى غير ذلك من الأسباب . انتهى بتصرف

بلاغة التقديم والتأخير هنا : جاء التقديم والتأخير هنا – بالإضافة لكونه مراعياً للفاصلة – مشتملاً على التخويف والترهيب لهؤلاء الكافرين المعرضين عن التدبر في عاقبة السابقين ، فقدَّم الله –ﷻ– قوله " لَكَانَ لِزَامًا " لبثٍّ مزيد من الرعب في قلوبهم وتخويفهم من هذا الأمر اللازم لولا كلمة الله –ﷻ– التي سبقت .

الإيجاز : في قوله " كَلِمَةٌ " ، والكلمة السابقة : هي العِدَةُ بتأخير جزائهم إلى الآخرة ، يقول : لولا هذه العدة لكان مثل إهلاكنا عاداً وثموداً لازماً لهؤلاء الكفرة[9] .

---

(١) الأنعام ١٠٠
(٢) الأنعام ١٠٠
(٣) فصلت ٣٧
(٤) طه ٦٧
(٥) طه ٦٦
(٦) طه ٦٨
(٧) إبراهيم ٥٠
(٨) ينظر : البرهان جـ ٣ ص ٢٣٣ وما بعدها
(٩) ينظر : الكشاف جـ ٣ ص ٩٣

والعِدَةُ بتأخيرهم هي ما جاء في قول الله –ﷻ– ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١) وقوله ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ (٢).

الحذف : في قوله لَكَانَ لِزَامًا " والتقدير كما ذُكر : لكان العذاب العام لازماً(٣) .

واللزام– بكسر اللام– : مصدر لازم : كالخصام ، استعمل مصدراً لفعل لزم الثاني لقصد المبالغة في قوة المعنى كأنه حاصل من عدة ناس ، أي : لكان الإهلاك الشديد لازماً لهم(٤).

وحذف العذاب هنا لتهويله حتى تذهب النفس فيه كل مذهب ويكون ذلك أدعي لتخويفهم بعذاب غير معلوم لهم .

---

(١) الأنفال ٢٣

(٢) إبراهيم ٤٢

(٣) ينظر : حاشية الصاوي جـ ٣ ص ٥٨

(٤) ينظر : التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٣٦

المبحث السادس عشر

الأساليب البلاغية في قول الله – ﷻ – ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾[1]

من الأساليب البلاغية في الآية الكريمة :

١ــ مناسبة الآية لما سبق : لما كان الأمر على ما ذُكِرَ من أن تأخيرَ عذابهم ليس بإهمال بل إمهال وأنه لازمٌ لهم البتةَ أمره الله –ﷻ – بالصبر فقال " فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ " من كلمات الكفرِ ، ولما كان الصبر شديداً على النفس منافراً للطبع ، لأن النفس مجبولة على النقائص ، مشحونة بالوسواس ، أمره الله – ﷻ– فقال " وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ " أي اشتغل بما ينجيك من عذابه ، ويقربك من جنابه بأن تنزه من أحسن إليك عن كل نقص ، حال كونك حامداً له بإثبات كل كمال ، وذلك بأن تصلي له خاصة وتذكره ، غير ملتفت إلى شيء سواه وبدأ بالأول لأنه العون على الثاني[2] انتهى بتصرف .

٢ــ الأمر : في قوله " فَاصْبِرْ " و " وَسَبِّحْ "

والأمر نوع من الإنشاء الطلبي وهو : طلَبُ تحقيق شيْءٍ ما مادّيٍّ أو معنويّ ، وتدُلُّ عليه صِيَغٌ كلاميّة أربع هي : فعل الأمر – المضارع الذي دخلت عليه لام الأمر – اسم فعل الأمر المصدر النائب عن فعل الأمر ، ويُسْتَفادُ مِنْ صِيَغِ الأَمر التكليفُ الإِلْزامِيُّ بالفعل[3] أ.هـ

والغرض من الأمر هنا : توكيد وجوب الإتيان بهذه المأمورات لأهميتها بالنسبة للنبي – ﷺ– كي يستعين بها في الدعوة .

٣ــ الجملة الفعلية : في قوله " يَقُولُونَ " ولم يقل " قولهم " للدلالة على تكرارهم لقولهم وسفاهتهم .

---

(١) طه ١٣٠

(٢) ينظر : إرشاد العقل السليم جـ ٣ ص ٦٧٧ ، نظم الدرر جـ ١٢ ص ٣٦٦

(٣) ينظر : البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها جـ ١ ص ٢٢٨ وما بعدها

فالجملة الفعلية موضوعة لإفادة التّجدد والحدوث في زمن معين مع الاختصار ، نحو : أشرقت الشمس وقد ولّى الظلامُ هارباً .

فلا يستفاد من ذلك إلا ثبوتُ الإشراق للشمس ، وذهاب الظلام في الزمان الماضي .

وقد تفيد الجملة الفعلية الاستمرار التجدّدي شيئاً فشيئاً بحسب المقام ، وبمعونة القرائن ، لا بحسب الوضع – بشرط أن يكونَ الفعلُ مضارعاً ، نحو قول المُتنبي:

تُدبّر شرقَ الأرض والغرب كفُّه وليسَ لها يوماً عن المجد شاغلُ

فقرينة المدح تدلّ على أن تدبير الممالك ديدنُه وشأنه المستمر الذي لا يحيد عنه ، ويتجدّد[1] انتهى بتصرف .

وقد دلَّ حالهم مع النبي – ﷺ– على مدوامتهم على ما يقولونه من التكذيب له وغير ذلك من أنواع الإساءة المعروفة عنهم ، فعبَّر القرآن بالجملة الفعلية الدالة على التجدد والاستمرار .

بلاغة التعبير بالجملة الفعلية : التعبير بالجملة الفعلية يفيد التّجدد والحدوث ، والتجدد والحدوث هنا يدل على ذهاب الشيء واضمحلاله مهما تكرر ، فالحدوث يدل على أنه وُجد بعد أن لم يكن موجوداً ، وما كان كذلك فسينعدم بعد وجوده ، فالتعبير بالجملة الفعلية هنا يشير إلى مداومة المشركين على هذه الأقاويل السفيهة ويدل على زوالها وبطلانها لا محالة ، والله أعلم .

١– المجاز : في قوله " وَسَبِّحْ "

فالمراد بالتسبيح الصلاةُ في قول كثير من المفسرين[2] .

فهذا مجاز مرسل من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل ، والجزئية هي كون المذكور ضمن شيء آخر كقوله تعالى ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ ﴾[3] .

---

(١) ينظر : جواهر البلاغة ص ٦٣ ، ديوان المتنبي من قصيدة مطلعها : دروع لملك الروم هذي الرسائل ، ص ٣٧٧ ط دار بيروت للطباعة والنشر ط ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م

(٢) ينظر : التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي مجلد ٨ جـ ١٦ ص ١١٥ ط مطبعة السعادة .

(٣) النساء ٩٢

بلاغة المجاز هنا : اختير التسبيح دآلاً على الصلاة إشارة إلى أنَّ الغرض من الصلاة التسبيح الذي هو بمعنى تنزيه الله -ﷻ- عن كل نقص ، والصلاة مشتملة على التسبيح بمعناه الحقيقي بألفاظ التسبيح في الركوع والسجود ، وبمعناه المجازي في كون الصلاة دآلةً على أن المصلي يسبح الله وينزهه عن النقائص بعبادته وحده لا شريك له ، والله أعلم .

٢- ذكر الخاص بعد العام : في قوله " وَأَطْرَافَ النَّهَارِ "

فقد اشتمل قوله " قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ " على الصلوات الخمس ، فـ" قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ " هو صلاة الفجر ، " وَقَبْلَ غُرُوبِهَا " هو الظهر والعصر لأنهما جميعاً قبل الغروب ، " وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ " المغرب والعشاء الأخيرة ويكون قوله " وَأَطْرَافَ النَّهَارِ " كالتوكيد للصلاتين الواقعتين في طرفي النهار وهما صلاة الفجر وصلاة المغرب كما اختصت في قوله" حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى "[١] على التكرار بالتوكيد[٢] أ.هـ

وذكر الخاص بعد العام نوع من الإطناب ، وبلاغة ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنسه تنزيلاً للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات كقوله تعالى " مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ "[٣] وقوله تعالى ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[٤][٥]أ.هـ

وقوله " فَسَبِّحْ " ليس من التكرار بل لأنَّ الأمر الأول " وَسَبِّحْ " كان مختصاً بالأوقات التي جُعلت الشمسُ ميقاتاً لها بالقبلية والبعدية " قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا " ، وقوله

---

(١) البقرة ٢٣٨

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري جـ ٣ ص ٩٤ ، مفاتيح الغيب للرازي جـ ١١ ص ٦٩

(٣) البقرة ٩٨

(٤) آل عمران ١٠٤

(٥) ينظر : الإيضاح جـ ٣ ص ٢٠٠

" فَسَبِّحْ " جُعِل خاصاً بالأوقات التي اشتمل عليها الليل " وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ " فجاء اللفظ مع صلوات النهار مرةً ومع صلوات الليل مرة أخرى للتأكيد على أهمية المحافظة على صلوات كلٍ من الوقتين على حِدة ، والله أعلم .

٣- الإنشاء : في قوله " لَعَلَّكَ تَرْضَى "

حيث عبَّر بـ " لعل " الدآلة على الرجاء ، والرجاء نوع من أنواع من الإنشاء غير الطلبي كما مرَّ .

والمعنى هنا في " لَعَلَّكَ تَرْضَى " أي تثاب على هذه الأعمال بالثواب الذي تراه وأبرز ذلك في صورة الرجاء والطمع لا على القطع ، وقيل : " لعل " من الله واجبة[1] .

فالرجاء هنا بالنسبة للنبي ﷺ .

(١) ينظر : البحر المحيط جـ ٦ ص ٢٦٩

المبحث السابع عشر

الأساليب البلاغية في قول الله – ﷻ– ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[1]

مما اشتملت عليه الآية من الأساليب البلاغية :

١ــ مناسبة الآية لما سبق : لما أمر الله – ﷻ– نبيَّه – ﷺ– بالصبر على ما يقول المشركون أعقب ذلك بنهيه عن الإعجاب بما يَنْعَمُ به من تَنعمَ من المشركين بأموال وبنين في حين كفرهم بالله بأن ذلك لحِكَمٍ يعلمها الله تعالى ، منها إقامة الحجة عليهم ، كما قال تعالى ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ ﴾[2][3].

٢ــ الاستعارة : في قوله " وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ "

أصل المد : الجر والزيادة ، ومنه : المدة للوقت الممتد ، ومددت عيني إلى كذا ، والمَدُّ الجَذْب والمَطْلُ مَدَّه يَمُدُّه مَدّاً ومدَّ به فامتَدّ ، وأطلق على بسط الجسم وتطويله ، يقال : مد يده إلى كذا ، ومد رجله في الأرض[4] .

واستعير المدُّ هنا إلى التحديق بالنظر والطموح به تشبيهاً له بمد اليد للمتناول ، لأن المنهي عنه نظر الإعجاب مما هم فيه من حسن الحال في رفاهية عيشهم مع كفرهم[5].

وقد ذُكِرَ أن الخطاب للنبي – ﷺ– لكن المراد به الأمة فإنه كان معروفاً عنه الإعراض عن الدنيا وزينتها ، فهو من باب أولى لا يغترُّ بما فيه الكفار من نِعَم الدنيا وزينتها الزائلة[6].

---

(١) طه ١٣١

(٢) المؤمنون ٥٥ ، ٥٦

(٣) ينظر : التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٣٩

(٤) ينظر : المفردات للراغب مادة " مد " ٤٨٤ ، لسان العرب مادة " مدد " جـ ٣ ص ٣٩٦ ، التحرير والتنوير تفسير سورة الحجر جـ ١٤ ص ٨٢

(٥) ينظر : التحرير والتنوير تفسير سورة الحجر جـ ١٤ ص ٨٢

(٦) ينظر : روح المعاني مجلد ٩ جـ ١٦ ص ٤١٤ ، الوسيط لمحمد سيد طنطاوي جـ ١٣ ص ١١٦

بلاغة الاستعارة : استعير لفظ المدِّ هنا وكان من الممكن التعبير بـ " لا تنظر" ، لكن لما اشتمل لفظ المدِّ على معنىً زائد كان التعبير به أبلغ من النهي عن النظر ، يقول الطاهر بن عاشور – رحمه الله – " وَلَا تَمُدَّنَّ " أبلغ من لا تنظر ، لأن مد البصر يقتضي الإدامة والاستحسان بخلاف النظر ، فإنه قد لا يكون ذلك معه ، والنظر غير الممدد معفو عنه[1]

١- الاستعارة : في قوله " زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا "

جاء لفظ " زَهْرَةَ " هنا مستعاراً لزينة الحياة الدنيا ونعمها ، فالزَّهْرَةُ : نَوْرُ كل نبات والجمع زَهْرٌ وخص بعضهم به الأَبيض ، وزَهْرُ النبت نَوْرُه ، والإِزْهارُ إِزْهارُ النبات وهو طلوع زَهَرِه[2] .

وتستعار الزَّهْرَةُ للزينة المعجبة المبهتة ، لأن منظر الزهرة يزين النبات ويعجب الناظر فزهرة الحياة : زينة الحياة ، أي زينة أمور الحياة من اللباس والأنعام والجنان والنساء والبنين[3]

بلاغة الاستعارة : استعير لفظ الزَّهْرَة هنا إشارة إلى ما تشتمل عليه هذه النِّعم من مما يلفت النظر إليها ، فكأنها ليس من النعم التي يمكن للمرء تجاهل النظر إليها بل إنها قد اشتملت على ما يجعل إدامة النظر إليها لازماً لمن يهتم لأمر الدنيا ، وفي ذلك إشارة إلى شدة الابتلاء بها وقوة إيمان من لا يتأثر بزينتها ، والله أعلم .

٢- الاستعارة : في قوله " لِنَفْتِنَهُمْ "

حيث استعيرت لام التعليل لمعنى العاقبة والصيرورة .

فاللام هنا لام الصيرورة وتسمى لام العاقبة ، ولام المآل عند الكوفيين ، وعند البصريين هي بمعنى " كي "[4] .

---

(١) ينظر : البحر المحيط جـ ٦ ص ٢٦٩

(٢) ينظر : لسان العرب مادة " زهر" جـ ٤ ص ٣٣١

(٣) ينظر : التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٤٠

(٤) ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني ص ١٢١

وهي هنا من نوع استعارة الحرف كقوله تعالى" فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا "[1] واجراؤها أن يقال : شبهت المحبة والتبني بالعداوة والحَزَن اللذين هما العلة الغائية للالتقاط بجامع مطلق الترتيب ، واستعيرت اللام من المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية ، واعلم أن اللام لم تستعمل في معناها الأصلي وهو العلة ، لأن علة التقاطهم له أن يكون لهم ابناً ، وإنما استعملت مجازاً لعاقبة الالتقاط وهي كونه لهم عدواً فاستعيرت العلة للعاقبة ، بجامع أن كلاً منهما مترتب على الالتقاط ، ثم استعيرت اللام تبعاً لاستعارتها ، فالمستعار منه العلة ، والمستعار له العاقبة ، والترتب على الالتقاط هو الجامع ، والقرينة على المجاز استحالة التقاط الطفل ليكون عدواً[2] .

يقول الطاهر – رحمه الله – : اللام للعلة المجازية التي هي عاقبة الشيء ، مثل قوله تعالى فَالْتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا "[3] وإنما متعهم الله بزهرة الدنيا لأسباب كثيرة متسلسلة عن نظم الاجتماع فكانت لهم فتنةً في دينهم ، فجعل الحاصل بمنزلة الباعث[4] أ.هـ

والمعنى أن الذي يظهر للناس من النعم أن الغرض منها – في كل حال – تنعيم من أُسبغت عليهم لكنها جاءت هنا لغرض الابتلاء لا التنعيم .

فقوله" لِنَفْتِنَهُمْ " أي : لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب ، لوجود الكفران منهم ، أو لنعذبهم في الآخرة بسببه[5] .

٣- الإضافة : في قوله " وَرِزْقُ رَبِّكَ "

وهذا من تعريف المسند إليه بالإضافة لغرض تعظيمه[6] .

---

(١) القصص ٨

(٢) ينظر : جواهر البلاغة ص ٢٥٢

(٣) القصص ٨

(٤) ينظر : التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٤٠

(٥) ينظر : الكشاف للزمخشري جـ ٣ ص ٩٥

(٦) ينظر : جواهر البلاغة ص ١١٧

فإضافة " وَرِزْقُ رَبِّكَ " إضافة تشريف ، وإلا فإن الرزق كله من الله ، ولكـــن رزق الكافرين لما خالطه وحفَّ به حالُ أصحابه من غضب الله عليهم ، ولما فيه من التبعة علـــى أصحابه في الدنيا والآخرة لكفرانهم النعمة جعل كالمنكور انتسابه إلى الله ، وجعل رزق الله هو السالم من ملابسة الكفران ومن تبعات ذلك[1] .

(١) ينظر : التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٤١

المبحث الثامن عشر

الأساليب البلاغية في قول الله – ﷻ– ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾[1]

من الأساليب البلاغية في الآية الكريمة :

١– مناسبة الآية لما سبق :

لما أمر بتزكية النفس أتبعه الإعلام بأن منها تزكية الغير ، لأن ذلك أدل على الإخلاص وأجدر بالخلاص ، كما دلَّ عليه مَثَلُ السفينة الذي ضربه رسول الله – ﷺ – لمن يأمر بالمعروف ومن يتركه[2] ، فقال " وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ " كما كان أبوك إسماعيل –عليه السلام– ليقودهم إلى كل خير ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾[3] ولم يذكر الزكاة لدخولها في التزهيد بالآية التي قبلها[4] .

٢– المقابلة : في قوله " أَهْلَكَ " في مقابلة " أَزْوَاجًا مِنْهُمْ "

والمقابلة : هي ذكر الشئ مع ما يوازيه في بعض صفاته ويخالفه في بعضها وهي من باب المفاعلة كالمقابلة والمضاربة وهي قريبة من الطباق والفرق بينهما من وجهين الأول : أن الطباق لا يكون إلا بين الضدين غالباً ، والمقابلة تكون لأكثر من ذلك غالباً ، والثاني : لا يكون الطباق إلا بالأضداد والمقابلة بالأضداد وغيرها[5] .

---

(١) طه ١٣٢

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه في كتاب : الشركة ، باب : هل يقرع في القسمة والاستهام فيه ، وتمامه عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – عَنْ النَّبِيِّ – ﷺ– قَالَ : مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ استَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا استَقَوْا مِنْ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا . ينظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري حديث رقم ٢٤٩٣ جـ ٥ ص ١٥٧ ط المكتبة السلفية

(٣) العنكبوت ٤٥

(٤) نظم الدرر للبقاعي جـ ١٢ ص ٣٧١

(٥) البرهان للزركشي جـ ٣ ص ٤٥٨

فذكر الأهل هنا مقابل لذكر الأزواج في قوله " إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ " فإن من أهل الرجل أزواجه ، أي متعتك ومتعة أهلك الصلاة فلا تلفتوا إلى زخارف الدنيا ، وأهل الرجل يكونون أمثل من ينتمون إليه[1] .

والمراد بأهل بيته – ﷺ– أزواجه وبناته : وقيل : ما يشملهم ويشمل معهم جميع المؤمنين من بني هاشم ، وقيل المراد بهم : جميع أتباعه من أمته[2] .

بلاغة المقابلة : لما ذكر الله –ﷻ – قوله " أَزْوَاجًا مِنْهُمْ " في الآية السابقة ذكر في هذه الآية أزواج المؤمنين بقوله " أَهْلَكَ " إشارة إلى الفارق بين الفريقين وأزواجهم ، فالأولون منغمسون في زينة الدنيا ومتاعها الفاني ، أما هؤلاء فمنشغلون بطاعة الله – ﷻ– وعبادته ، فالمقابلة بين الفريقين وأهليهم لبيان هِمَّة كل فريق وعاقبة أمره ، وتلك من بلاغة القرآن المتكررة في التفريق بين فريق الحق والضلال .

٣– زيادة المبنى لزيادة المعنى : في قوله " وَاصْطَبِرْ "

ذكر ابن جني – رحمه الله – أنَّ قوة اللفظ قوة للمعنى[3] وقال شارحاً لذلك : هذا فصل من العربية حسن ، منه قولهم عشب المكان ، فإذا أرادوا كثرة العشب فيه قالوا : اعشوشب وعليه – عندي – قول الله – ﷻ– " لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ "[4] وتأويل ذلك أن كسب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير ومُسْتَصْغَر ، ومن ذلك أيضاً قولهم : رجل جميل ووضئ ، فإذا أرادوا المبالغة في ذلك قالوا : وضَّاء ، وجمال فزادوا في اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه[5] .

---

(١) ينظر : التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٤٢

(٢) ينظر : التفسير الوسيط جـ ١٠ ص ١١٧

(٣) وهذه قاعدة غالبة وليست عامة إذ أن زيادة المبنى – لا تفيد دائماً – الزيادة في المعنى ، فقال ابن هشام : إنَّ القول بأنَّ " كثرة الحروف تدل على كثرة المعنى " ليس بمُطَّرِدٍ . ينظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري جـ ١ ص ١٥٩ ط المكتبة العصرية – بيروت .

(٤) البقرة ٢٨٦

(٥) الخصائص لأبي الفتح عثمان ابن جني جـ ٣ ص ٢٦٤ ط المكتبة العلمية .

وفي الآية هنا نجد قول الله –ﷻ – " وَاصْطَبِرْ " فذكر السيوطي – رحمه الله – أنه أبلغ من اصبر[1].

والاصطبار : افتعال من الصبر و صيغة الافتعال تَرِدُ لإفادة قوة الفعل ، وهو شدة الصبر على الأمر الشاق ، وفي هذا إشارة إلى أنه يربى نفسه على قوة احتمالها ، ورياضة النفس عليها بأدائها كاملة بخشوع وحضور ، واستحضار لجلال الله تعالى علام الغيوب[2] .

(١) الإتقان للسيوطي النوع الثامن والخمسون : في بدائع القرآن جـ ٢ ص ١٩١

(٢) ينظر : التحرير والتنوير تفسير سورة مريم ٦٥ جـ ١٦ ص ١٤٢ ، زهرة التفاسير للإمام محمد أبي زهرة جـ ٩ ص ٤٨١٤ ط دار الفكر العربي

المبحث التاسع عشر

الأساليب البلاغية في قول الله – ﷻ– ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾[1]

اشتملت الآية على كثير من الأساليب البلاغية منها :

١ــ مناسبة الآية لما سبق : لما قال الله –ﷻ – ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾[2] فجيء هنا بشنع من أقوالهم التي أمر الله –ﷻ – رسوله – ﷺ– بأن يصبر عليها في قوله " فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ " فمن أقوالهم التي يقصدون منها التعنت والمكابرة أن قالوا : لولا يأتينا بآية من عند ربه فنؤمن برسالته ، كما قال تعالى ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾[3] فقال" أَوَلَمْ " أي : ألم يأتهم من الآيات في هذا القرآن مما خصصتك به من الأحكام والحكم في أبلغ المعاني بأرشق النظوم ما أعجز بلغاءهم ، وأبكم فصحاءهم ، فدل قطعاً على أنه كلامي[4]

١– الاستفهام : في قوله " أَوَلَمْ "

والاستفهام هنا إنكار عليهم وتوبيخ لهم[5] .

بلاغة الرد عليهم بأسلوب الاستفهام :

إن الرد على الكافرين بأسلوب الاستفهام وأداة النفي مما له أبلغ الأثر في إظهار قوة الحجة القرآنية عليهم ، فكان من الممكن أن يأتي الكلام بصيغة الإثبات دون استفهام بأن يقول ردًّا عليهم : لقد جاءكم كذا وكذا ، دون استعمال صيغة الاستفهام الإنكاري ، لكن التعبير القرآني جاء بالرد عليهم بأسلوب الاستفهام لما فيه من بلاغة وقوة احتجاج على الخصم .

---

١ – طه ١٣٣

٢ – طه ١٣٠

٣ – الأنبياء ٥

٤ – ينظر : نظم الدرر للبقاعي جـ ١٢ ص ٣٧٤ ، التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٤٤

٥ – ينظر : التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٤٤ ، البحر المحيط جـ ٦ ص ٢٧٠

فقوة الاستفهام الإنكاري وميزته على النفي الصريح هي : أن المتكلم عندما يلقي كلامه بصيغة الاستفهام فإن ذلك يدل على الثقة التي تملآ نفسه ، لأنه يلقي كلامه وهو يدرك أنه لو كان في كلامه أدنى ريب لرده عليه قائله جواباً على استفهامه فبذلك ندرك أن أسلوب الاستفهام الإنكاري يختلف اختلافاً كبيراً عن أسلوب النفي الصريح ، لذلك وجدناه يكثر في كتاب الله تعالى [١] .

٢- جدل القرآن : في قوله " أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى "

وهذا من ردّ القرآن على مطلبهم بالحجة العقلية الواضحة وهذا من بلاغة القرآن في الرد الحكيم على المعاندين ، ونجد العلماء يعبرون عنه بجدل القرآن تارة وبالمذهب الكلامي تارة أخرى ، وقد عُرِّف الجدل : بأنه احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام[٢] .

وعُرِّف المذهب الكلامي بأنه : إيراد المتكلم على صحَّة دعواه حُجَّةً قاطعةً مسلَّمة عند المخاطب ، بأن تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزمة للمطلوب كقول الله -ﷻ- " لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا "[٣] واللازم وهو الفساد باطل ، فكذا الملزوم وهو تعدد الآلهة باطل ، وليس أدلّ على ذلك من الحقيقة والواقع[٤] .

فبلغوا من المكابرة والعِناد إلى حيث لم يعُدّوا ما شاهدوا من المعجزات التي تخِرُّ لها صُمُّ الجبال من قَبيل الآيات حتى اجترءوا على التفوُّه بهذه العظيمةِ الشنعاء[٥] .

بلاغة الجدل القرآني : إنَّ ردَّ القرآن عليهم بهذه الصيغة التي تقوم على الحجة البيِّنة التي لا تقبل التشكيك أو الرد مما يبين قوة النظم القرآني وتغلبه عليهم بالحجة ، والقرآن مليء بمثل هذه الردود العقلية على أباطيل الكافرين والمعاندين .

---

(١) ينظر : البلاغة العربية فنونها وأفنانها ص ٢٠٦

(٢) ينظر : الإتقان للسيوطي النوع الثامن والستون : في جدل القرآن جـ ٢ ص ٢٩٣

(٣) الأنبياء ٢٢

(٤) ينظر : جواهر البلاغة ص ٢٩٥

(٥)ينظر : إرشاد العقل السليم جـ ٣ ص ٦٧٩

المبحث العشرون

الأساليب البلاغية في قول الله – ﷻ– ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى ﴾[1]

من الأساليب البلاغية في الآية الكريمة :

١– مناسبة الآية لما سبقها :

لما ذكرت الآية السابقة شيئاً من ضلالات الكافرين وعنادهم مع الله –ﷻ – في التعنت وطلب تحصيل ما هو حاصل أصلاً لكنهم أعموا قلوبهم عنه جاءت الآية الكريمة مفترضة ضلالة أخرى من ضلالاتهم وذكرت ردَّهم المؤكد عليها ، لعلم الله – ﷻ– بما زيِّنه الشيطان لهم من حجج واهية فقال الله – ﷻ– " وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ..... " وذلك لإبطال حججهم ، ما قالوه وما يمكن أن يقولوه في المستقبل .

٢– التقييد بالشرط : في قوله " وَلَوْ " :

والتقييد بالشرط وغيره يكون لزيادة الفائدة ، وتقويتها عند السامع لما هو معروف من أن الحكم كلما ازدادت قيوده ازداد إيضاحاً وتخصيصاً ، ويدخل الشرط على الجملة لربط الحكم فيها بحكم آخرَ في جملة أخرى ربطاً شرطيًّاً ، فتكون الجملتان بمثابة جملة واحدة وتُسمّى عندئذٍ جملة شرطيّة[2] .

بلاغة أسلوب الشرط في الآية الكريمة : هذه الآية الكريمة جاءت رداً على طلبهم في الآية السابقة بافتراض حالة تنبئ عن سفاهتهم ، فقد أرسل الله –ﷻ – إليهم رسولاً فاقترحوا عليه – عناداً وتكبراً – أن يأتيهم بآية مثل الأنبياء السابقين ، فردَّ الله – ﷻ– عليهم بقوله ﴿ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾[3] ثم ههنا يخبرنا الله – ﷻ– أنه لو أهلكهم " لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ " فهم في كل الأحوال يعاندون الحق : وفي إيراد الكلام بأسلوب الشرط هنا فائدتان :

---

(١) طه ١٣٤

(٢) ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها جـ ١ ص ٤٧٦ ، جواهر البلاغة ص ١٣٥

(٣) طه ١٣٣

أولهما : تصبير النبي – ﷺ– بإخباره بأن هؤلاء لا يطلبون شيئاً كي يهتدوا وإنما هم يطلبون من قبيل العناد والمكابرة كما قال له من قبل " فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ "(١) .

ثانيهما : فضح هؤلاء الكافرين ببيان أنهم – كعادة الكافرين في كل زمان – سيستمرون على الكفر في كل الحالات ، فلو جاءهم رسولٌ فسيطلبون آية معجزة ويتناسون ما جاءهم من الآيات الماثلة أمامهم ، ولو أهلكهم الله –ﷻ – حال عدم مجيء رسول إليهم فسيحتجون عليه بوجوب إرسال رسول إليهم ، فهم في كل الحالات معاندون .

٣– التنكير : في قوله "بعَذَاب " :

وراء كل من التعريف والتنكير أسرار ومزايا بلاغية تتجلى لمن أُنعم النظر في سياقات الكلام ووقف على مواقع أجزائه ، لأن النكرة لها دلالات وإيحاءات لا تكون للمعرفة وكذلك المعرفة لها دلالاتها وإيحاءاتها .

ودلالات التنكير لا تستفاد من التنكير وحده بل من سياق الكلام ، ألا ترى قوله الله – ﷻ– " وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ "(٢) " وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ "(٣) فإنَّ كلمة " حَيَوةٌ " جاءت منكرة في الآيتين ، ولكنها تدل في كل آية على معنى ، ففي الآية الأولى تدل على أي حياة مهما كانت ، ولكنها في الآية الثانية تدل على حياة عظيمة حريَّة بأن يُحافظ عليها .

ومن دلالات التنكير : التعظيم والتهويل كقوله تعالى ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾(٤) في سياق النهي عن الربا والكف عنه ، ومن لم ينته فليأذن بحرب من الله ورسوله ، فدلَّ تنكير " بِحَرْبٍ " على التعظيم والتهويل ، ومن ذا الذي يطيق حرباً من الله ورسوله ؟(٥) .

من هذا يتبين لنا أن تنكير لفظ العذاب لتهويل أمره وتخويف المشركين من ذلك العذاب الذي لا يدركون كنهه وحقيقته .

---

(١) الأنعام ٣٣

(٢) البقرة ٩٦

(٣) البقرة ١٧٩

(٤) البقرة ٢٧٩

(٥) ينظر : البلاغة فنونها وأفنانها ص ٣٤٢ ، من بلاغة النظم القرآني ص ٣٢ وما بعدها .

المبحث الحادي والعشرون

الأساليب البلاغية في قول الله – ﷻ– ﴿ قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ [1]

اشتملت الآية على كثير من الأساليب البلاغية منها :

١ــ مناسبة الآية لما سبق : لما ذكر الله –ﷻ – في الآيات السابقة حالهم من الكفر والعناد وتبين إصرارهم على ذلك الكفر وذلك العناد جاءت هذه الآية الكريمة وأغلقت في وجوههم باب الطلب الذي جعلوه مدخلاً للتنطع على النبي – ﷺ– بمثل هذه الأمور التي طلبوها لا لشيء إلا لمجرد العناد والمكابرة فقط فأمر الله – ﷻ– أن يقول لهم مخوِّفاً ومحذراً " كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا ..... "

٢ــ الأمر : " قُلْ " :

وهو من الإنشاء الطلبي .

وفائدته هنا : تطمين النبي – ﷺ– وبعثٌ للثقة في نفسه من الله –ﷻ – بأنه كفيل بعقاب هؤلاء الكافرين جزاءً لهم على كفرهم وعنادهم .

٣ــ التهديد : في قوله " فَتَرَبَّصُوا " :

وقد جاء التهديد هنا بصيغة الأمر التي خرجت عن دلالتها واستعملت مجازاً في التهديد[2] .

ومادة الفعل المأمور به مستعملة في الدوام بالقرينة ، نحو ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾[3] ، أي فداوموا على تربصكم ، وصيغة الأمر فيه مستعملة في الإنذار، ويسمى المتاركة ، أي نترككم وتربصكم لأنا مؤمنون بسوء مصيركم[4].

---

(١) طه ١٣٥

(٢) ينظر : البلاغة العربية فنونها وأفنانها جـ ١ ص ٢٣١

(٣) النساء ١٣٦

(٤) ينظر : التحرير والتنوير جـ ١٦ ص ٣٤٧

١- الجناس : في قوله " مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا " :

يقول السيوطي – رحمه الله – : ويسمّى أيضاً التجنيس والمجانسة ، وهو لون من ألوان البديع ، ومن المحسنات اللفظية ، وعُرِّفَ الجناس : بأنه " تشابه اللفظين في اللفظ " أي التلفظ ، قال في كتر البراعة : وفائدته : الميل إلى الإصغاء إليه ، فإن مناسبة الألفاظ تُحْدِثُ ميلاً وإصغاء إليها ، ولأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به آخر كان للنفس تشوق إليه[١] أ.هـ

ويُشْترط فيه : ألا يكون متكلّفاً ، ولا مُسْتكرهاً استكراهاً ، وأن يكون مستعذَباً عند ذوي الحسِّ الأدبي المرهف ، وقد نَفَر من تصنُّعه وتكلُّفِه كِبَارُ الأدباء والنُّقَاد[٢] .

وبلاغة الجناس هنا : أن الآية بمضمونها تشتمل على التهديد لهؤلاء الكافرين بسوء المصير فعندما يقول لهم " كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا " فهو بذلك يهددهم أبلغ التهديد ذلك أنه واثق في وعد ربه له وفي انتقامه منهم على كفرهم .

٢- تناسب البداية والنهاية بين أول السورة وخاتمتها :

إنَّ براعة الاستهلال في السورة الكريمة تستقطب المخاطب سامعاً وقارئاً ، وهذا ما نراه واضحاً في أول السورة ﴿ طه ۞ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۞ إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴾[٣] فبداية السورة الكريمة تخفف على النبي – ﷺ– من وطأة الشعور النابع من كفر قومه وتكذيبهم له ، وتُسلِّيه وتُصبِّره على مشآق الدعوة ، وتبين له أن القرآن أُنزل عليه لهداية البشر إلى الإيمان بالله –ﷻ– وليس لكي يشقى به كما يقولون .

ثم نجد النهاية تقسم الناس إلى : مؤمن وكافر ، وكل منهما يتربص بالنهاية وينظر إليها فمن الفائز يا ترى ؟ أهم المؤمنون الأتقياء أم هم الكافرون الأشقياء ؟

---

(١) ينظر : الإتقان للسيوطي النوع الثامن والخمسون : في بدائع القرآن جـ ٢ ص ١٩٦ ، جوهر الكتر " تلخيص كتر البراعة " لابن الأثير الحلبي ص ٩١ تحقيق الدكتور / محمد زغلول سلام ط دار المعارف – الإسكندرية .

(٢) ينظر : البلاغة العربية فنونها وأفنانها جـ ٢ ص ٤٨٥

(٣) طه ١ ، ٢ ، ٣

ومَنْ على الصراط المستقيم ؟ أهم الذين رضي الله تعالى عنهم ؟ أم من غضب عليهم؟ إن غداً لناظره قريب " قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ".

ثم نرى التناسق البديع بين نهاية السورة الكريمة وبداية التي تليها سورة الأنبياء ، والتي بدأت بما انتهت به سابقتها بتخويفهم مما ينتظرهم مما أُمروا بالتربص به فقال " اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ "[1].

تمَّ بحمد الله

نسأل الله – ﷻ– أن يجعلنا من أصحاب الصراط السوي المهتدين ، وأن يُحْسِن عاقبتنا في الأمور كلها، وصلِّ اللهمَّ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) الأنبياء ١

خاتمة البحث

الحمد لله الذي بحمده تتمُّ الصالحات وتُقْبَلُ الطاعات وتُغْفَرُ السيئات وأصلي وأسلم على خير الخلق ونبي الحق سيدنا محمدٍ – ﷺ– وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم وسار على نهجهم بإحسان إلى يوم الدين ٠

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ٠

وبعد

ففي ختام هذا العمل المتواضع ، وبعد هذه الجولة في الأساليب البلاغية في سورة طه من أول قول الله – ﷻ– ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ الآية ١١١ إلى قول الله –ﷻ – ﴿ قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ الآية ١٣٥ ، أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها وهي كما يلي :

١ــ أنَّ وجوه إعجاز القرآن كثيرة ومتعددة ، وأهمها : بلاغته وفصاحته التي أعجزت العرب وغيرهم منذ نزول القرآن حتى يومنا هذا عن بلوغ مرتبته العليا من الفصاحة المعجزة والبلاغة الباهرة .

٢ــ أنَّ فصاحة القرآن وبلاغته تتجلي في جميع آياته ، بل في حروفه وكلماته ، وأنَّ فصاحته تلك لم تتغير من سورة لأخرى أو آية وما يليها ، بل الكل على نسق واحد من الجزالة والبلاغة والفصاحة الباهرة المعجزة ، وذلك مما يثبت أن القرآن من عند الله ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[1] فكل آياته على اختلاف موضوعها تجري على درجة واحدة من بلاغة النظم الكريم ، وجودة السبك ، وهذا ما لم يصل إليه بلغاء العرب وفصحاؤهم ، فلكل واحد منهم مجاله الذي نبغ فيه دون سواه ، فعن محمد بن سلام قال : سألت يونس النحوي : من أشعر الناس ؟ قال: لا أومئ إلى رجل بعينه ولكني أقول : امرؤ القيس إذا غضب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب[2] .

---

(١) النساء ٨٢

(٢) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني جـ ١ ص ١٢٧

٣ــ أن دراسة علوم اللغة والبلاغة مما لا غنى عنها لمن يتصدى لتفسير كتاب الله –ﷻ – إذ بدونها يخفى عليه المعنى المقصود كالمدح في مقام الذم ، وربما لا يهتدي لفهم بلاغة القرآن .

٤ــ أنَّ اهتمام العلماء قديماً وحديثاً بالقرآن الكريم وما يتعلق به من الأمور التي تثبت أنه ما من أمة اهتمت بكتاب ربها – ﷻ– كما اهتم المسلمون بتلك المعجزة الخالـــدة ، ولا أدل على ذلك من كل تلك المؤلفات التي ازدانت بها المكتبة الإسلامية خدمة لكتاب الله ﷻ .

٥ــ أن بلاغة القرآن قد زادت على ما عهده العرب من وجوه البلاغة في شعرهم ونثرهم وخطبهم ، على الرغم من نزول القرآن بلغتهم وبأسلوبهم ، لكن فرق بين الثرى والثريـــا ، فالعرب على عادتهم ربما يستخرجون من البيت نكتة بلاغية لا أكثر ، أما آيـــات القـــرآن العظيم فزاخرة بوجوه البلاغة التي لا يحصيها بليغ أو يعدُّها فصيح .

وأخيراً : فإنني أرجو من الله – ﷻ– أن أكون قد وُفِقتُ في هذا العرض الموجز لهذا البحث العظيم في موضوعه ، المتواضع في جهد صاحبه الفقير إلى الله ﷻ .

وإنني أرجو من كل مُطَّلِعٍ على هذا البحث أن يلتمس لي العذرَ إن وجد في عملـــي هذا تقصيراً أو خطأً فإن الكمال لله – ﷻ– وحده .

فإن أكن قد وُفِقتُ في عملي هذا فبتوفيقٍ من الله – ﷻ– ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّـــهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[1] .

وإن أكن قد أخطأتُ فإنني أستغفر الله العظيم – الذي لا يتعاظمه ذنب – من كل خطأ أخطأته أو زللٍ زللته .

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾[2].

---

(١) سورة هود آية ٨٨

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٦

قائمة المراجع

القرآن الكريم جلَّ من أنزله .

١- الإتقان في علوم القرآن لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ط دار الكتب العلمية – بيروت .

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لمحمد بن مصطفى أبي السعود العمادي ٩٨٢هـ ط مكتبة الرياض الحديثة تحقيق /عبد القادر أحمد عطا .

٣- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ ط مكتبة الإيمان شرح وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي .

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ١٣٩٣ هـ ط دار عالم الفوائد إشراف / بكر عبد الله أبو زيد .

٥- الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم لمحمد حسين سلامة ط دار الأوقاف العربية ط أولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

٦- إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني ط مكتبة مصر تحقيق الأستاذ أبو بكر عبد الرازق .

٧- إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ٣٣٨ هـ ط دار المعرفة بيروت ط أولى ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م .

٨- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ط دار الفكر – بيروت ، طبعة ثانية ، تحقيق / سمير جابر .

٩- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ هـ ط دار الكتب العلمية – بيروت طبعة أولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين .

١٠- البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ط دار الكتب العلمية بيروت دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ / عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ / على محمد معوض ط أولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .

١١- البديع تأصيل وتجديد للدكتور منير سلطان ط منشأة المعارف بالأسكندرية .

١٢- البرهان في علوم القرآن للإمام لمحمد بن عبد الله الزركشي تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ط مكتبة دار التراث .
١٣- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين يعقوب الفيروزآبادي تحقيق / محمد علي النجار ط وزارة الأوقاف المصرية - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث العربي ط ثالثة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م .
١٤- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ط دار القلم - دمشق ، الدار الشامية - بيروت ، طبعة أولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م .
١٥- البلاغة العربية في ثوبها الجديد للدكتور بكري شيخ أمين ط دار العلم للملايين بيروت طبعة ثالثة ١٩٩٣م .
١٦- بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل للدكتور ظافر بن غرمان العمري أستاذ البلاغة والنقد بجامعة أم القرى مكتبة وهبة طبعة أولى ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨م .
١٧- بلاغة النظم القرآني للدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود ط مؤسسة المختار طبعة أولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م .
١٨- البلاغة فنونها وأفنانها للدكتور فضل حسن عباس ط دار النفائس الطبعة الثانية عشر ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٩م .
١٩- البيان القرآني عند الجاحظ للدكتور هاشم محمد هاشم .
٢٠- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ط الدار التونسية للطبع والنشر .
٢١- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ط مكتبة الصفا طبعة أولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م .
٢٢- التفسير الوسيط للأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر رحمه الله ، ط مطبعة السعادة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .
٢٣- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية للدكتور أحمد سعد محمد ط مكتبة الإيمان طبعة ثانية ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م .

٢٤- التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية للدكتور أحمد سعد محمد ط مكتبة الآداب طبعة أولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م .
٢٥- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور - المنسوب لعز الدين بن الأثير تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي ط دار الآفاق العربية طبعة أولى ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧م .
٢٦- الجامع المسند الصحيح من حديث رسول الله - ﷺ - وسننه وأيامه للحافظ محمد بن إسماعيل البخاري بشرح الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني حققه / محب الدين الخطيب رقَّمَ كتبه وأبوابه وأحاديثه / محمد فؤاد عبد الباقي ط المكتبة السلفية . ط ثالثة ١٤٠٧ هـ .
٢٧- جامع بيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جعفر بن جرير الطبري ضبط وتوثيق وتخريج / صدقي جميل العطار ط دار الفكر - بيروت ط ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م .
٢٨- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ط دار الحديث ط ثانية ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م .
٢٩- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه تصنيف / محمود صافي ط دار الرشيد دمشق ، بيروت ط رابعة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م .
٣٠- الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المُرادي ط دار الكتب العلمية بيروت تحقيق د / فخر الدين قباوة - الأستاذ / محمد نديم فاضل ط أولى ١٤١٣ هـ ١٩٩٢م .
٣١- جواهر البلاغة تأليف السيد أحمد الهاشمي قرأه وقدم له الدكتور يحى مراد ط مؤسسة المختار ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م .
٣٢- جوهر الكنز " تلخيص كنز البراعة " لابن الأثير الحلبي تحقيق الدكتور / محمد زغلول سلام ط دار المعارف - الإسكندرية .
٣٣- خصائص التراكيب للدكتور محمد أبو موسي ط دار التضامن للطباعة طبعة ثانية ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠- م .

٣٤- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية للدكتور عبد العظيم إبراهيم المطعني ط مكتبة وهبة طبعة أولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م .
٣٥- الخصائص لأبي الفتح عثمان ابن جني ط المكتبة العلمية تحقيق الدكتور محمد علي النجار .
٣٦- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ٧٥٦ هـ تحقيق الدكتور أحمد محمد الخرَّاط ط دار القلم - دمشق .
٣٧- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ٧٥٦ هـ تحقيق الدكتور أحمد محمد الخرَّاط ط دار القلم - دمشق .
٣٨- دَرْجُ الدرر في تفسير الآي والسور لبعد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ط دار الحكمة بريطانيا ط أولى ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .
٣٩- دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم للدكتور منير محمود المسيري ط مكتبة وهبة طبعة أولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
٤٠- دلائل الإعجاز لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي المتوفى سنة ٤٧١ ه ط مكتبة الخانجي - القاهرة قرأه وعلق عليه / محمود محمد شاكر .
٤١- دليل البلاغة القرآنية للدكتور محمد سعد الدبل ط طبعة ثانية ١٤٣١ هـ ٢٠١٠م .
٤٢- ديوان العباس بن الأحنف ط دار الكتب المصرية ط ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م شرح وتحقيق عائشة الخزرجي .
٤٣- ديوان الفرزدق ط دار الكتب العلمية - بيروت طبعة أولى ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨
٤٤- ديوان المتنبي ط دار بيروت للطباعة والنشر طبعة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م .
٤٥- ديوان امريء القيس ط دار الجيل - بيروت شرح د / حنا الفاخوري .
٤٦- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي ط دار الفكر - بيروت - قرأه وصححه / محمد حسين العرب ط ١٤١٧ هـ ١٩٩٧م .

٤٧- زهرة التفاسير للإمام محمد أبي زهرة ط دار الفكر العربي .
٤٨- سر الفصاحة لأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي ط دار الكتب العلمية - بيروت ط أولى .
٤٩- السياق القرآني وأثره في التفسير لعبد الرحمن المطيري ص ٦٤ ط ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م المملكة العربية السعودية - جامعة أم القرى .
٥٠- شرح الرضي محمد بن الحسن الأستراباذي ٦٨٨ ه على الكافية لابن الحاجب ط منشورات جامعة قان يونس - بنغازي ط ثانية ١٩٩٦ م صحيح وتعليق يوسف حسن عمر .
٥١- شرح دروس في البلاغة تأليف / حفني ناصف - سلطان محمد - محمد دياب - مصطفى طمطوم ط دار ابن الجوزي - القاهرة طبعة أولى ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م .
٥٢- علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع تأليف بسيوني عبد الفتاح فيود مؤسسة المختار للنشر والتوزيع دار المعالم الثقافية الطبعة الثانية ١٩٩٨م .
٥٣- علم البيان للدكتور عبد العزيز عتيق ط دار الآفاق العربية طبعة أولى ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٢م .
٥٤- علم المعاني للدكتور عبد العزيز عتيق ط دار الآفاق العربية طبعة أولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م .
٥٥- العمدة في محاسن الشعر وآدابه لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ٣٩٠ هـ - ٤٥٦ هـ حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ط دار الجيل طبعة خامسة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
٥٦- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى بصنعاء سنة ١٢٥٠ هـ ط دار الوفاء حققه وخرَّج أحاديثه الدكتور/ عبد الرحمن عميرة .

٥٧- الفروق اللغوية للحسن بن عبد الله بن سهل العسكري علق عليه ووضع حواشيه محمد باسل عيون السود ط دار الكتب العلمية – بيروت طبعة أولى ١٤٢١ هـ ٢٠٠٠م .
٥٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري ط دار الكتب العلمية – بيروت ط أولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م .
٥٩- الكناية والتعريض لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي دراسة وشرح وتحقيق الدكتورة عائشة حسين فريد ط دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع طبعة ١٩٩٨م.
٦٠- اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي ط دار الكتب العلمية – بيروت .
٦١- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور الإفريقي ط دار الفكر بيروت ط ثالثة ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م .
٦٢- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير ط نهضة مصر للطباعة والنشر .
٦٣- مجاز القرآن لأبي عبيدة مَعْمَر بن مثنى التيمي عارضه بأصوله وعلّق عليه د / محمد فؤاد سركين ط مكتبة الخانجي – القاهرة .
٦٤- محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي طبعة دار إحياء الكتب العربي عيسى الحلبي طبعة أولى ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م تعليق وتخريج محمد فؤاد عبد الباقي .
٦٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ط دار الخير – بيروت طبعة ثانية ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م .
٦٦- المطول شرح مفتاح تلخيص العلوم للعلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ط دار الكتب العلمية – بيروت تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي طبعة ثالثة١٤٣٤ هـ
٦٧- معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط ٢١٥ هـ ط مطبعة المدني ط أولى ١٤١١هـ – ١٩٩٠ م تحقيق د / هدى محمود قراعة .
٦٨- معاني القرآن لأبي زكريا يحى بن زياد الفراء ط دار السرور .

٦٩- معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق إبراهيم بن السّري الزجاج شرح وتحقيق د / عبد الجليل عبده شلبي ط عالم الكتب – بيروت ط أولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م
٧٠- المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم للدكتور / عبد الفتاح لاشين ط دار الفكر العربي ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
٧١- المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم للدكتور عبد الفتاح لاشين ط دار الفكر العربي – القاهرة ١٤٢٠ هـ - - ٢٠٠م
٧٢- معجم مفردات ألفظ القرآن للحسين بن محمد الراغب الأصفهاني تحقيق / نديم مرعشلي ط دار الفكر – بيروت ٠
٧٣- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ط المكتبة العصرية – بيروت تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
٧٤- من بلاغة القرآن للدكتور أحمد بدوي ط دار نهضة مصر ط ٢٠٠٥ م
٧٥- الموافقات للشاطبي جـ ٤ ص ٧١٦ ط دار الكتب العلمية – بيروت .
٧٦- النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ط دار القلم – الكويت
٧٧- النداء في اللغة والقرآن للدكتور أحمد محمد فارس ط دار الفكر اللبناني طبعة أولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م
٧٨- نظم الدرر لأبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ط دار الكتاب الإسلامي – القاهرة
٧٩- النكت في إعجاز القرآن للرماني باب الفواصل ط دار المعارف – مصر .